المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة والاحتساب
قسم الحسبة والرقابة

الحسبة في تفسير الحافظ ابن كثير

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الحسبة والرقابة

إعداد الطالب
فهد بن ناصر بن براهيم العيدي

إشراف فضيلة الدكتور
محمود بن عبدالهادي دسوقي
الأستاذ المساعد بقسم الحسبة والرقابة

العام الجامعي
١٤٣٥ هـ - ١٤٣٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3]، أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية أحوج ماتكون اليوم وهي تتخبط في مناهج شتى، أدّت بها إلى الضعف، أن تعود إلى منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة ومن سار على دربهم من العلماء والدعاة والمصلحين، فما أحوجها اليوم إلى الرجوع إلى حال أولها، ولا شك أن معرفة مسائل الحسبة ودراستها في تفسير هؤلاء الأعلام، هي من الخطوات التي تساعد -بإذن الله- على السير على منهجهم، واقتفاء أثرهم واتباع خطاهم، ومن هؤلاء الأعلام الذين لهم جهد في الاحتساب الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٢، انظر: خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، (١/ ٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٢) سورة النساء، الآية:١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية:٧٠-٧١.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن للحسبة مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في ديننا لما لها من آثار واضحة على الأمة، لحفاظها على دينها وأمنها، ومما يدل على هذه المكانة السامية أن الله ﷻ عدها من أهم خصائص هذه الأمة كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وتتضح تلك المكانة بأن الله ﷻ جعلها واجباً من واجبات الدولة المسلمة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2].

ولأهمية ذلك فقد رغبت في دراسة مسائل الحسبة عند الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه (تفسير القرآن العظيم)، وخصوصاً أن هذا التفسير من التفاسير التي تلقاه الناس بالقبول وأثنى عليه العلماء.

وترجع أسباب اختيار الموضوع إلى:

- الحاجة إلى الرجوع إلى المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف الأمة في الحسبة.
- ما تميز به الإمام ابن كثير رحمه الله من العلم والعمل والحسبة، فهو أحد طلبة الإمام ابن تيمية رحمه الله المعروف باحتسابه على أهل البدعة ودفاعه عن أهل السنة، فمن كان يسير على هذا المنهج فهو جدير بدراسة علمية للتعرف على مسائل الحسبة في كتابه، وسبل الإفادة منها في زماننا الحاضر، وتزويد المكتبة العلمية والتخصص بهذه الدراسة.
- رغبتي في الاطلاع عن كثب على علم الإمام ابن كثير رحمه الله، والإفادة مما كتب في كتابه (تفسير القرآن العظيم)، والذي يعد من أحسن وأصح كتب التفسير إن لم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

يكن أحسنها وأصحها على الإطلاق بعد تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله، واختياره أحسن الطرق في تفسير القرآن الكريم.

- مشابهة عصر الإمام بعصرنا الحاضر من وجوه منها:

١- كثرة المذاهب والفرق المنحرفة عن الإسلام والتي تدعي الانتساب إليه وهي في الواقع تحاربه.

٢- تقصير كثير من الفضلاء في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أهداف البحث:

الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها في هذه الدراسة:

- التعرف على المسائل المتعلقة بالمحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله.
- بيان المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه في تفسير ابن كثير رحمه الله.
- إبراز المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه في تفسير ابن كثير رحمه الله.
- التعرف على مراتب الاحتساب ودرجاته في تفسير ابن كثير رحمه الله.

تساؤلات الدراسة:

- ما المسائل المتعلقة بالمحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله؟
- ما المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه في تفسير ابن كثير رحمه الله؟
- ما المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه في تفسير ابن كثير رحمه الله؟
- ما مراتب ودرجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن موضوع الدراسة في الجامعات السعودية والمراكز العلمية المتخصصة والمكتبات والبحث في مظان وجوده وجدت ما يلي:

١- (منهج الإمام ابن كثير في تقرير عقيدة السلف)، للباحث علي بن حسين بن يحيى موسى، إشراف د.أحمد بن علي عبدالعال، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، للعام الجامعي ١٤٠٩ هـ.

وقد عالجت الرسالة مصادر ابن كثير رحمه الله في تقرير عقيدة السلف ومسائل العقيدة في مؤلفاته، ومنهجه في مناقشة المخالفين والرد عليهم .

أما وجه الاتفاق مع الباحث فلم أقف على وجه اتفاق بين عنوان دراستي وبحثه فيما سوى التعريف بابن كثير رحمه الله؛ وذلك لأن الرسالة تناولت مسائل تقرير العقيدة عند ابن كثير رحمه الله في جميع مؤلفاته، ودرست دراسة عقدية.

٢- (منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم والإفادة منه في العصر الحاضر)، للباحث: مبارك بن حمد الشريف، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان، للعام الجامعي١٤٢٩هـ.

وقد عالجت الرسالة خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير رحمه الله ومنهجه من خلال أركان الدعوة وسبل الإفادة منها.

أما وجه الاتفاق فقد ركزت الدراسة على كتاب ابن كثير رحمه الله (تفسير القرآن العظيم)، كما تناولت ترجمة مختصرة لابن كثير رحمه الله وكتابه، وتطرقت في إحدى مطالبها بشكل موجز إلى منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت في ست صفحات فقط.

وأما وجه الاختلاف فقد تناول الباحث الدراسة بشكل دعوي، ولم يتطرق إلى مسائل الحسبة المختلفة والمتعددة.

كما أن هناك عدة دراسات أخرى ركزت على منهجية الإمام ابن كثير رحمه الله في التفسير وهي بعيدة عن موضوع دراستي مثل (الإمام ابن كثير المفسر) للباحث مطر أحمد الزهراني، رسالة ماجستير، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، في مكة

المكرمة، عام١٤٠٢هـ، و(منهج ابن كثير في تفسيره) للباحث سليمان إبراهيم اللاحم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، عام ١٤٠٠هـ، و(موقف ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره) للباحث محمد إبراهيم تراوي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام١٤٠٧هـ، وغيرها.

منهج البحث وكيفية تطبيقه :

منهجي في البحث هو المنهج الاستقرائي: ويعرف بأنه العملية التي بواسطتها ندرك أن مثلاً جزئياً دليل على صدق تعميم ما[1]، وسيكون ذلك بتتبع القضايا العلمية المتعلقة بمسائل الحسبة لدى الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه (تفسير القرآن العظيم)، وجمعها ودراستها.

تقسيمات الدراسة :

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة

تشتمل على ما يلي:

- التعريف بموضوع الدراسة وأسباب اختياره.
- أهداف الدراسة.
- تساؤلات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- منهج الدراسة.
- تقسيمات الدراسة.

(١) الاستقراء والمنهج العلمي، د.محمود فهمي زيدان، ص٣٥، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٧٧م.

التمهيد: ويشمل على:

أولاً: التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله.

ثانياً: التعريف بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله وبيان مكانته وأهميته.

الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالمحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الأول: أصناف المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: شروط المحتسب وصفاته في تفسير ابن كثير رحمه الله.

الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الأول: أصناف المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: حقوق المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله.

الفصل الثالث: المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الأول: مجالات إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: شروط إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله.

الفصل الرابع: مراتب ودرجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله

المبحث الأول: مراتب الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: درجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: تشمل على الآتي:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يتقبله بقبول حسن.

ثم أشكر والدي الكريمين على حسن تربيتهما، وعظيم عنايتهما بي، فاللهم اغفر لوالدي وارحمه، وبارك لي في والدتي وأطل عمرها على طاعتك وارزقني برها ، وكما أشكر أولادي وأهل بيتي على تشجيعهم ومساندتهم لي في أثناء البحث، وعلى صبرهم وحرصهم على رعاية أولادي وتربيتهم تربية صالحة، فلهم مني جميعاً خالص الشكر والعرفان.

ثم أتقدم بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في القائمين عليها لتهيئة الفرصة للدراسة وتوفير التسهيلات التي ساعدتني لإنجاز العمل على الوجه المنشود، وأرى من الحق أن أقدم شكري لأستاذي الفاضل الدكتور/ محمود بن عبدالهادي دسوقي، الذي وسعني بحلمه ولطفه في أثناء إشرافه على هذه الرسالة؛ حيث أفادني بآرائه القيمة، وتوجيهاته السديدة، مع كثرة أعماله وأشغاله، جزاه الله عني خير الجزاء، ووفَّقه لما يحبه ويرضاه، وكذلك أشكر كلاً من فضيلة الدكتور/ شبيب الحقباني، رئيس قسم الحسبة والرقابة، وفضيلة الدكتور/ سعد الجريد، على مناقشتهما لبحثي وعلى ملاحظاتهم التي أفدت منها لاحرمهم ربي جنته، كما أشكر جميع الأساتذة أصحاب الفضيلة الذين أفدت من علمهم خلال دراستي في هذه المرحلة، كما أشكر زملائي في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على تعاونهم معي، وموافقة المسؤولين منهم على هذه الدراسة وتشوفهم لإنهائها.

وفي الختام أتوجه بالشكر لجميع من أسدى إليَّ نصحاً أو مشورة أو دعوة في ظهر الغيب، راجياً من الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

ويشتمل على:

أولاً: التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله.

ثانياً: التعريف بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله وبيان مكانته وأهميته.

أولاً: التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله:

- **عصره:**

عاش ابن كثير رحمه الله في القرن الثامن الهجري (٧٠١-٧٧٤هـ)، في الفترة التي كان يحكم فيها المماليك البحرية[١] مصر والشام، وقد كانت هذه الفتره امتداداً لأحداث عظيمة مرت على العالم الإسلامي، منها الحروب الصليبية (٤٩٠-٩٦٠)[٢]، وذكر صاحب خطط الشام أنه في سنة ٧٤٢هـ جرى من تقلبات الملوك والنواب واضطرابهم ما لم يجر في مئات من السنين[٣]، ولعل ضعف الدين، والسرف، والتبذير، والنزعات المذهبية بين أهل السنة والرافضة كان سبباً في هذا الاضطراب السياسي، فكان من الطبيعي أن يؤثر على الحياة الاجتماعية، فحصل كثير من المجاعات، وانتشار الأمراض والأوبئة والوفيات بين الناس بسبب هذا[٤]، ولكن مع ذلك، فقد ساد في هذه الفترة نهضة علمية كبيرة، تمثلت في كثرة المدارس ودور التعليم[٥]، وانتشار العلم وكثرة

---

(١) المماليك البحرية : هم الذين اشتراهم الأيوبيون من بلاد متعددة لتقديمهم والاستعانة بهم في الداخل والخارج، حتى أصبح لهم نفوذ وكلمة مسموعة، وتدخلوا في شؤون الحكم، انظر: تاريخ المماليك، للدكتور عادل زيتون، ص١ ومابعدها، المطبعة الجديدة بدمشق،١٤٠١هـ، وابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي، ص١٦-١٧، طبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٢) انظر: البداية والنهاية الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير، بتحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (١٦/ ١٦٤) ومابعدها،طبعة دار هجر بالرياض،ط١، ١٤١٩هـ.

(٣) انظر: خطط الشام، محمد علي كرد، (٢/ ١٤٦-١٤٧)،نشر دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٢، ١٣٨٩هـ.

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٦/ ٩٣).

(٥) ذكر في (الدارس في تاريخ المدارس) للنعيمي: أن مدارس الشافعية ٦٠ مدرسة(١/ ١٢٩-٤٧٢)، ومدارس الحنفية حوالي ٥٣ مدرسة (١/ ٤٧٣-٦٥٠)، ومدارس المالكية أربع مدارس، ومدارس الحنابلة إحدى وعشرون مدرسة (٢/ ٣) ومابعدها، انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبدالقادر محمد النعيمي، مطبعة الترقي، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧هـ، وانظر: ابن كثير الدمشقي، د.محمد الزحيلي، ص٢٢، طبعة دار القلم، دمشق، ط١ ، ١٤٢٥هـ.

التأليف في مختلف العلوم، وتعدد المجتهدين والحفاظ الذين برزوا في كثير من العلوم، كابن تيمية رحمه الله[1]، والحافظ الذهبي رحمه الله[2]، والحافظ المزي رحمه الله[3]، وابن القيم رحمه الله[4]، وابن كثير رحمه الله[5]، وغيرهم، ولعل من أهم أسباب هذه النهضة العلمية، والنشاط الفكري:

١- تنافس الأمراء المماليك في تشجيع العلوم، وتقريبهم العلماء وإجزال العطاء لهم.

٢- كثرة الأوقاف على المساجد، والمدارس، والأربطة[6] من الحكام، والأمراء، والعامة.

٣- يقظة الرأي العام الإسلامي بعد تلك المحن، والأحداث المؤلمة التي مرت بالأمة الإسلامية.

٤- وجود علماء أفذاذ، وصلوا إلى مرتبة التجديد، والاجتهاد، في هذه الفترة، وهذا العصر، أثر على حرية الفكر في البحث، والمناظرة في المسائل العلمية، والقضاء

---

(١) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة٧٢٨هـ، انظر: شذرات الذهب (٦/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبدالله شمس الدين الدمشقي، المتوفى سنة٧٤٨هـ، انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٠٠).

(٣) الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالملك جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المشهور بالمزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، انظر: المرجع السابق، (١٨/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، المتوفى سنة: ٧٥١هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١ / ٤٨١-٤٨٠).

(٥) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي صاحب تفسير (تفسير القرآن العظيم)، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، وسيأتي ذلك مفصلا، انظر: البداية والنهاية - (١ / ٣).

(٦) الرباط: هو ملجأ الفقراء من الصوفية، المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس وزملائه، ص٣٢٣، طبعة المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول-تركيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

على التقليد المذهبي، الذي هو جمود فكري، وإضعاف للحرية الفكرية[1].

فالعصر الذي عاش فيه ابن كثير رحمه الله كان له أثر كبير على نشأته، وتكوينه العلمي، ومنهجه الفكري، وأثره الحسبي الإصلاحي، وما خلفه من آثار، ومؤلفات في التفسير، والحديث، والتاريخ، والفقه.

- **نسبه ومولده ونشأته:**

هو الإمام العالم الحافظ المفسر المؤرخ، أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمر ابن كثير بن ضو بن كثير بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي الفقيه الشافعي، ولد بمجدل، وهي قرية شرقي بصرى، من أعمال دمشق في سنة إحدى وسبعمئة، إذ كان أبوه خطيبا بها، ثم انتقل إلى دمشق، سنة سبع وسبعمئة، مع أخيه كمال الدين عبدالوهاب بعد موت أبيه[2]، ولندع الإمام ابن كثير رحمه الله يحدثنا عن نشأته، وأسرته، وذلك حين ترجم لوالده في كتابه البداية والنهاية، عند دخول ثلاث وسبعمئة فيقول:"وفيها توفي الوالد، وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو بن درع القرشي، من بني حصلة، وهم ينسبون إلى الشرف، وبأيديهم نسب، ووقف على بعضها شيخنا المزي، فأعجبه ذلك، وابتهج به فصار يكتب في نسبي؛ بسبب ذلك: القرشي-من قرية يقال لها الشركويين من غربي بصرى

---

(١) انظر: منهج ابن كثير في التفسير، سليمان بن إبراهيم اللاحم، ص١٥، طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٥٠٨)، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (٥٧-٥٩)، والمعجم المختص للذهبي (٧٤-٧٥)، والدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ٣٦-٣٧)، وكذلك ينظر في ترجمته عند محققي كتب ابن كثير في مقدمة التحقيق مثل: عمدة التفسير، لأحمد شاكر (١/ ٢٢-٢٧)، ومقدمة مسند الفاروق، لابن كثير، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ومقدمة الفصول في سيرة الرسول، تحقيق محمد عيد الخطراوي ومحيي الدين مستو.

بينها، وبين أذرعات، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمئة، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى[1]، ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي[2]، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة، ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل، ثم يونس، وإدريس، ثم من الوالدة عبدالوهاب، وعبدالعزيز، ومحمد، وأخوات عدة، ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل، لأنه كان قد قدم دمشق، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية، فمكث أياماً، ومات، فوجد الوالد عليه وجداً كثيرا، ورثاه بأبيات كثيرة، فلما وُلِدت له أنا بعد ذلك، سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وآخرهم، وأصغرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لمن بقي، توفي والدي في شهر جمادي الأولى، سنة ثلاث وسبعمئة، في قرية مجيدل القرية[3]، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين، أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمئة إلى دمشق، في صحبة الأخ كمال الدين عبدالوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين وسبعمئة ، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى مايسر والله أعلم" [4].

---

(١) نسبة إلى بصرى الشام. وقد ضبط بعضهم نسبتها «بُصروي»، انظر: ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص٥٠، مرجع سابق.

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محيي الدين علامة بالفقه والحديث من كتبه رياض الصالحين، توفي سنة ٦٧٦هـ، الاعلام (٨/ ١٤٩).

(٣) وهي اسم للبلدة التابعة لبصري بالقرب من دمشق في بلاد الشام، انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/ ٣٠١).

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٤٠-٤٢).

- **طلبه للعلم:**

نشأ ابن كثير رحمه الله منذ طفولته على طلب العلم، فبدأ على يد أخيه عبدالوهاب كما مر، ثم اتجه في تحصيله إلى كبار علماء عصره، فحفظ القرآن، وختم حفظه، سنة إحدى عشرة وسبعمئة[1]، ثم قرأ شيئاً من القرآن على الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش اللباد، المتوفى سنة ٧٢٤هـ[2]، فقد كان يقرئ الناس بالجامع، نحواً من أربعين سنة[3].

وحفظ التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ[4]، وعرضه في الثامنة عشرة من سنّه[5]، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري المتوفى سنة ٧٢٩هـ[6]، وكمال الدين قاضي شهبة المتوفى سنة٧٢٦هـ[7]، وصاهر الحافظ أبا الحجاج المزي، فتزوج ابنته، ولازمه، وأخذ عنه علم الحديث، ومعرفة الأسانيد، والعلل، والرجال،

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٣٢٦).

(٢) هو الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش ويقال: اللباد، ويعرف بالمولّه، كان يقرأ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة، وكان متقللاً من الدنيا لايقتني شيئاً وليس له بيت ولاخزانة، توفي وقد جاوز السبعين رحمه الله، البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٢٤٦).

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٢٤٦).

(٤) كتاب التنبيه: هو عبارة عن متن مختصر في فروع المذهب الشافعي اشتمل على مجمل كتب الفقه وأبوابه من كتاب الطهارة إلى كتاب الإقرار، وقد دارت في فلكه المصنفات بعد وضعه، ووضعت عليه التحريرات والتخريجات، ألفه الشيخ: أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي شيخ الشافعية ومدرس النظامية ببغداد، وكان زاهداً عابداً ورعاً كبير القدر معظماً إماماً في الفقه والأصول والحديث وفنون كثيرة، توفي سنة٤٧٦هـ، البداية والنهاية، لابن كثير (١٦/ ٨٦-٨٧)، الأعلام، للزركلي (١/ ٥١).

(٥) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ٣٧).

(٦) إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري، المعروف ببرهان الدين ابن الفِركاح، ولد سنة٦٦٠هـ، من مؤلفاته: شرح على كتاب الورقات في أصول الفقه، توفى سنة ٧٢٩هـ، البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٣١٦-٣١٧).

(٧) انظر ترجمته ص١٧.

وصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ﷺ، وكانت له به خصوصية، ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك، وأوذي[1].

وهكذا ترقى ابن كثير ﷺ في تحصيل العلوم الشرعية، والعربية، حتى بلغ القمة، وصار يشار إليه بالبنان، ولذلك قال عنه الشوكاني[2]: "برع في الفقه، والتفسير، والنحو، وأمعن النظر في الرجال، والعلل"[3].

فجهاد ابن كثير ﷺ المتواصل، وحرصه الدائب على طلب العلم، وتحصيله، منذ نعومة أظفاره، جعلت منه محدثاً كبيراً، وإماماً عالماً، ومفسراً جليلاً، ومؤرخاً قديراً، وفقيهاً بارعاً.

ومما كان له أثر كبير في تنوع علوم ابن كثير ﷺ، وتعددها مصاحبته لعلماء كبار في عصره، أمثال المزي، والذهبي، وابن الزملكاني، والبرزالي، وابن تيمية – رحمهم الله –[4]، إضافة إلى ذلك، فقد كان المنهج الذي سلكه ابن كثير ﷺ في العلاقة بالسلطة في وقته، هو أن علاقته ليست رسمية، بقدر ما هي مشاركات في نطاق النصح، والإرشاد، والمشورة، والتعليم، وحل المنازعات، ونحو ذلك، مما كان يدعى إليه من قبل الأمراء،

---

(١) طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوي، نشر مكتبة وهبه ط١، ١٣٩٢هـ، (١/ ١١٠)، وكذلك البداية والنهاية، لا بن كثير (١٨/ ٣١٦-٣١٧)، (١٨/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، أحد أبرز كبار علماء أهل السنة والجماعة وفقهائها في اليمن ولد بهجرة شوكان في اليمن ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، له تفسير(فتح القدير) توفي سنه: ١٢٥٠هـ، الأعلام، للزركلي (٦/ ٢٨٩).

(٣) انظر: ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه، د.محمد الزحيلي، ص٧٤، طبعة دار العلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.

(٤) انظر ترجمتهم عند الكلام عن شيوخ الحافظ ابن كثير ﷺ في ص١٦،١٧.

وغيرهم، والذين كانوا يحرصون على مشاركة ابن كثير ﷺ في مثل هذه القضايا، والأحداث، وهذا النمط من العلاقة أتاح لابن كثير ﷺ الحرية الكافية في مؤلفاته، وكتاباته، وعدم الخضوع لإيحاءات السلطة وإغراءاتها، بل ربما امتحن، وأوذي بسبب صلابته في بعض مواقفه، وآرائه خصوصاً تلك التي تابع فيها شيخه ابن تيمية ﷺ[1].

والمتأمل في مؤلفات ابن كثير ﷺ يعرف غزارة علمه، وسعة اطلاعه -خصوصاً تفسيره، وتاريخه - فهي مليئة بالحديث عن أهل الكتاب، وضلالتهم، وماحصل من التحريف في كتبهم المنزلة، ومحاورته لقساوستهم، ورجال الدين فيهم، وكذلك إلمامه بعقائد المذاهب، والفرق الضالة، وبيانه لانحرافها، وزيغها، كالقدرية[2]، والجهمية[3]، وكذلك ماحصل من المنازعات، والخصومات بين السنة، والرافضة، ومعرفته للتتار، وشريعتهم التي وضعها هولاكو في كتاب الياسق[4]، ليكون ديناً لهم، ومرجعاً

---

(١) انظر: منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتابه البداية والنهاية، شمس الدين محمد صديق جلالي، ص٥١ .رسالة دكتوراه غير منشورة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

(٢) نعني به نفاة القَدَرِ، ننسبهم للقدر؛ لأنهم نفوه، قال أهل العلم عنهم قَدَرِيَّة، لأنهم نفوا القَدَرْ، منهم من نفى العلم، ومنهم من نفى عموم المشيئة، أو عموم خلق الله عز وجل لكل شيء، ومنهم الجبرية الذين قالوا: إنّ العبد مجبور، وكان أول ظهورهم بالبصرة في العراق على يد رجل ينسب إلى الزهد يقال له معبد الجهني، انظر: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، د.صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، (١/ ٧٠)، دار المودة، مصر، ط ١، ١٤٣٢ هـ.

(٣) أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه: قادرا فاعلا خالقا؛ لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق، انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني (١/ ٨٥)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

(٤) الياسق لجنكيز خان المتوفى (٦٢٤ هـ) والكتاب عبارة عن: أحكام اقتبست من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك وكان دستور التتار، انظر: تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء =

يتحاكمون إليه، إضافة بمعرفته بالعلوم الأخرى، كعلم الفلك، والجغرافيا، والتاريخ، والأحداث السياسية، والاجتماعية؛ التي حدثت في زمانه، وغير ذلك مما يدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه.

- **شيوخه:**

تلقى الحافظ ابن كثير رحمه الله العلم على شيوخ كثيرين[1]، لهم قدم راسخة في العلم، ومكانة عظيمة عند العامة، والخاصة، فمنهم:

١- إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري، المعروف ببرهان الدين ابن الفِركاح، شيخ المذهب وعَلَمُهُ، ومُفِيد أهله، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، بقية السلف، سمَّع عليه ابن كثير رحمه الله صحيح مسلم وغيره وقال: "وبالجملة فلم أر شافعياً من مشايخنا مثله"[2]، توفى سنة ٧٢٩هـ.

٢- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة٧٢٨هـ، صحبه ابن كثير رحمه الله، وتعلم منه، وتفقه عليه وأحبه[3]، ويظهر هذا الحب في عبارات ابن كثير رحمه الله المتكررة، التي ملؤها الإطراء والثناء والإعجاب بشيخه.

= إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، (١ / ٢٧).

(١) بلغ مجموعهم أربعة وأربعين شيخاً، انظر: الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، د.مسعود عبدالرحمن الندوي، ص٤٣، مطبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) كانت صلة ابن كثير رحمه الله بابن تيمية رحمه الله ومحبته له مبكرة، يقول ابن كثير في حوادث سنة ٧٠٩هـ، أي: لما كان عمره ثماني سنوات أو تسع : «وجلست يوماً إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر قال لي: أتحب ابن تيمية؟ قلت: نعم. قال لي وهو يضحك: والله لقد أحببت مليحاً»، البداية والنهاية (١٨/ ٩٦).

٣- الحافظ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، أبو عبدالله شمس الدين الدمشقي، الحافظ للحديث، المحقق مؤرخ الإسلام والمسلمين، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وتكرر وصف ابن كثير رحمه الله له بـ«شيخنا» وقال: "وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه"[١].

٤- كمال الدين أبو المعالي بن الشيخ علاء الدين علي بن عبدالواحد بن خطيب زمكلا عبدالكريم بن خلف من نبهان الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني، المتوفى سنة٧٢٧هـ. وصفه ابن كثير رحمه الله بشيخنا العلامة وقال:"انتهت إليه رياسة المذهب تدريساً وإفتاء ومناظرة"[٢].

٥- الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبد الملك جمال الدين بن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي، المشهور بالمزي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وقد لازم ابنُ كثير المزي، وسمع منه أكثر تصانيفه، وأفاد منه في الحديث، والرجال، وتخرج على يديه، وصاهره، فتزوج ابنته، وصار قريباً منه في بيته، وترجم له[٣].

٦- الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي الشافعي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، مؤرخ الشام، تكرر ذكر ابن كثير رحمه الله له بشيخنا، وعَدَّ كتابه البداية والنهاية ذيلاً لتاريخ البرزالي[٤]، وقال: "هذا آخر ما أرّخه شيخنا الحافظ البرزالي في كتابه الذي ذيّل به على تاريخ شهاب الدين أبي شامة، وقد ذيلت على تاريخه إلى

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٥٠٠).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٢٨٦).

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٤) البرزالي: القاسم بن بهاء الدين محمد بن يوسف الحافظ علم الدين أبو محمد البرزالي " بضم الباء الوحدة بطن من بربر " الإشبيلي ثم الدمشقي المالكي ولد سنة ٦٦٥ وتوفي بدمشق سنة ٧٣٩، من تأليفه تاريخ البرزالي، جعله صلة لتاريخ أبي شامة في خمس مجلدات. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٤٠٨).

زماننا هذا، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة من سنة ٧٥١هـ"[١].

وهناك غيرهم ممن ذكرت صرّح ابن كثير رحمه الله؛ أنه تتلمذ عليهم، وأفاد منهم[٢]، وكذلك من ذكرهم في تفسيره بقوله «شيخنا».

- **تلاميذه:**

ذكر ابن العماد الحنبلي رحمه الله، أن تلاميذ ابن كثير رحمه الله عدد كبير[٣]، ويؤيد ذلك أن ابن كثير رحمه الله نفسه تولى التدريس في عدة مدارس، مثل النجيبية[٤]، والفاضلية[٥]، كما تولى مشيخة الحديث بالمدارس، ودور الحديث الكبرى مثل المدرسة الصالحية[٦]، ودار القرآن والحديث التنكيزية[٧]، ودار الحديث الأشرفية[٨]، وغيرها من المدارس.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٤٠٨).

(٢) مثل: ابن حامد البجلي، والدمياطي، وعفيف الدين الأزجي، انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٨/ ٢٢٩-٢٣٩).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن عماد الحنبلي، (٦/ ٢٣١)، طبعة القدسي القاهرة، ١٣٥٠هـ.

(٤) المدرسة النجيبية أو مدرسة أبي النجيب السهرودي مدرسة تاريخية يعود تأسيسها إلى العصر العباسي في بغداد، وهي من المدارس الشافعية التي تقع في الجزء الشرقي من المدينة، انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي،(١/ ٤٦٨-٤٧٢).

(٥) الفاضلية بالكلاسة لصيق الجامع الأموي، انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر، لابن حجر، (١/ ٦٨)، تحقيق الدكتور حسن حبش، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

(٦) وهي المعروفة بتربة أم الصالح الملك غربي الطيبة والجوهرية الحنفية وقبلي الشامية الجوانية بشرق، انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (١ / ٢٣٩)

(٧) وهي شرق الخناقاه السميساطية قال عز الدين الأنصاري الحلبي: ولما ملكها يعني دمشق الملك الكامل وتوفي بها عمدت بناته الثلاث إلى أماكن في جوار باب الناطفائيين فاشتروها وعمروها تربة مفتوحة الشبابيك إلى الجامع وبها قراء، انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ١٢٣-١٢٧).

(٨) وهي جوار باب القلعة الشرقي، غربي العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية، قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه: وقد كانت دار الحديث الإشرفية دارا لهذا الأمير يعني صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي، =

ومن أشهر تلاميذه:

١- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشافعي[(١)]، المتوفى سنة ٨٣٣هـ، وقد صرح ابن الجزري نفسه بالسماع من ابن كثير رحمه الله حيث قال: "وأما حديث أم زرع، فسمعت شيخنا الحجة عماد الدين إسماعيل ابن كثير يقول..."[(٢)].

٢- سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل النووي[(٣)]، المتوفى ٨٠٥هـ، قال النعيمي: "حمل عن ابن كثير رحمه الله، وقرأ عليه تأليفه اختصار علوم الحديث، وأذن له ابن كثير رحمه الله في الفتوى"[(٤)].

٣- شهاب الدين حجي بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد شهاب الدين الشافعي[(٥)]، المتوفى سنة ٨١٦هـ، وقد أفاد ابن حجي رحمه الله، من شيخه ابن كثير رحمه الله وأثنى عليه وقال: "ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه ولازمته ست سنين"[(٦)].

= واقف القيمازية وله بها حمام فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل، وبناها دار حديث وأخرب الحمام، وبناه سكنا للشيخ المدرس بها انتهى، انظر: المرجع السابق، (١/ ١٩-٤٧).

(١) مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى طاش كبرى زاده، (١/ ١٩٢)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م، والأعلام، لخير الدين الزركلي، (٧/ ٢٧٤)، طبعة دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٢) المصعد لأحمد بن الجزري، وهو منشور في أول مسند الإمام أحمد، بتحقيق أحمد شاكر، (١/ ٣١).

(٣) شذرات الذهب، لابن العماد، (٧/ ٩).

(٤) الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ٣٢٠).

(٥) انظر: شذرات الذهب، (٧/ ١١٧)، و الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ١٣٨-١٤٣).

(٦) إنباء الغمر، لابن حجر، (١/ ٣٩)، و الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، (١/ ٣٦).

٤- الزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله بدر الدين الزركشي الشافعي[١]، المتوفى سنة ٧٩٤هـ، قال ابن حجر رحمه الله[٢]: "رحل إلى دمشق، فأخذ عن ابن كثير رحمه الله الحديث، وقرأ عليه مختصره في علوم الحديث، ومدحه ببيتين"[٣]، وغيرهم كثير.

- **ثناء العلماء عليه:**

مكانة ابن كثير رحمه الله عظيمة، ومنزلته رفيعة وصفاته حميدة، وأخلاقه عالية، مما جعل شيوخه، ورجال عصره يثنون عليه، ويعترفون بعلمه، ويشيدون بفضله، ويُقرُّون بأمانته، وحفظه، فهذا شيخه الحافظ الذهبي رحمه الله قال عنه: "الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد"[٤]، وقال أيضاً عنه ابن حبيب رحمه الله[٥]: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع، وجمع، وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى، وصنف، وحدث، وأفاد، وطارت فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط، والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ، والحديث، والتفسير"[٦]، وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله[٧]: "الشيخ العلامة الحافظ، عماد الدين ثقة

---

(١) شذرات الذهب، لابن العماد، (٦/ ٣٣٥).

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، (٣/ ٣٩٧)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، (١١/ ١٢٤)، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩هـ، والبيتان هما :

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، (١/ ٤٠٠).

(٥) هو حسن بن عمر بن الحسن بن حبيب أبو محمد بدر الدين الحلبي، مؤرخ، من الكتاب المترسلين، ولد في دمشق، ونُصب أبوه محتسباً في حلب، فانتقل معه فنشأ فيها ونُسب إليها، توفي سنة ٧٧٩هـ، انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، (٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٦) شذرات الذهب، لابن العماد، (٦/ ٢٣١).

(٧) هو محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيس الدمشقي شمس الدين الشهير بابن ناصر =

المحدثين، وعمدة المؤرخين، وعلم المفسرين"[1]، وغير ذلك من عبارات المدح، والثناء، والإعجاب؛ والتي لو ذكرناها لطال بنا المقام.

- **وفـــاتـــــه:**

اتفق المؤرخون على أن ابن كثير رحمه الله توفي بدمشق، سنة ٧٧٤هـ، في شعبان يوم الخميس في خامس عشر شعبان[2]، ودفن رحمه الله بتربة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بمقبرة الصوفية خارج باب الصغير من دمشق، وكانت جنازته مشهودة[3]، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه على ما قدم للإسلام، والمسلمين خيراً.

= الدين، ولد بدمشق سنة٧٧٧هـ ونشأ بها وتفقه وأتقن العلوم، ومن مؤلفاته: توضيح المشتبه، ومنهاج السلامة، توفي مسموما سنة ٨٤٢هـ، انظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٧/ ٢٤٣).

(١) الرد الوافر، للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي، ص٩٢، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعةالأولى، بيروت، ١٣٩٣هـ.

(٢) أنباء الغمر، لابن حجر، (١/ ٤٠٠).

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، (١١/ ١٢٤).

ثانياً: التعريف بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله، وبيان مكانته وأهميته:

يعدُّ تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله من أفضل التفاسير وأهمها، قال الإمام السيوطي رحمه الله[1]: "لم يؤلف على نمطه مثله"[2]، وهذا راجع إلى سلامة المنهج الذي سار عليه ابن كثير رحمه الله في تفسيره، وهو التفسير بالمأثور، وقد بيّن ذلك في مقدمة التفسير بقوله: "فإن قال قائل فما أحسن التفسير؟ فالجواب، إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد يبسط في مكان آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم، وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين -، وإذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عند الصحابة رضي الله عنهم، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[3].

---

(١) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة ٨٤٩هـ، ونشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، وقد ألف عددا كبيرا من الكتب والرسائل إذ يُذكر أن مصنفاته بلغت ستمئة مصنف، وقد ألف في طيف واسع من الموضوعات تشمل التفسير والفقه والحديث والأصول والنحو والبلاغة والتاريخ وغيرها، ومنها: الإتقان في علوم القرآن ، وشرح سنن ابن ماجه، وغيرها، توفي سنة ٩١١هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٠١).

(٢) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٣٦١، مطبعة توفيق، مصر، ١٣٤٧هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (١/ ٨)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤٣٢هـ.

ثم قال: "فصل إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر[1]، فإنه كان آية في التفسير، وكسعيد بن جبير[2]، وعكرمةﷺ مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح ﷺ، والحسن البصري ﷺ، ..."[3]، وهذه الطريقة تعدُّ أحسن الطرق في تفسير القرآن الكريم، وقد اعتنى العلماء والمسلمون بهذا التفسير عناية عظيمة، فمنهم من حققه، وصححه، وعلق عليه، ومنهم من اختصره[4].

منهجه في التفسير:

سبق أن قلنا إن مكانة تفسير ابن كثير رحمه الله ترجع إلى أنه تفسير بالمأثور، وهذا النوع من التفسير هو من أهم الطرق لفهم القرآن، فهماً صحيحا سليماً من الزيغ والضلالات[5]، وقد التزم ابن كثير رحمه الله بهذا المنهج في تفسيره، فقد فسَّر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، ثم بأقوال التابعين، إضافة إلى اللغة العربية.

---

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل الكوفة، ولد سنة ٢١هـ، أخذ التفسير عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، مات سنة ١٠٤هـ، الأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٧٨).

(٢) هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، تابعي كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرﷺ ولد سنة ٤٦هـ، وهومن علماء التابعين، قتله الحجاج بن يوسف عام ٩٦هـ، الأعلام، للزركلي، (٣/ ٩٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ١٠).

(٤) مثل تحقيق: سامي سامي بن محمد السلامة، ومثل اختصاره: تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير، محمد نسيب الرفاعي.

(٥) منهج ابن كثير في التفسير، د.سليمان اللاحم، ص١٨١، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤٢٠هـ.

١-تفسير القرآن بالقرآن:

اعتمد ابن كثير رحمه الله على هذه الطريقة اعتماداً كبيراً، وعَدَّ هذه الطريقة هي أولى ما يفسر به القرآن الكريم، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[١]، بعدما أورد أقوال المفسرين في معنى الصلصال: " والظاهر أنه كقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٢] وتفسير الآية بالآية الأولى"[٣].

٢-تفسير القرآن بالسنة:

فبعد أن يفسر القرآن بالقرآن ينتقل إلى التفسير بالسنة، فيذكر الأحاديث التي تفسر، وتوضح معنى الآية، والتي لها علاقة بالآية من أي وجه من الوجوه، كما كانت طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، فمن السنة ما جاء بياناً لمجمل القرآن[٤]، ومنها ماجاء لتوضيح مشكل[٥]، ومنها ما جاء مخصصاً لعموم بعض الآيات[٦]، ومنها ما جاء مقيداً

---

(١) سورة الحِجر آية: ٢٦.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤-١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٥٣٣).

(٤) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[سورة البقرة:آية:١٩٦]، فقد بينت السنة ذلك بفعل الرسول ﷺ وتقريره في حجته وعمرته ، انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٥٣٢).

(٥) مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[سورة البقرة: آية:١٨٧]، فقد أشكل المراد على بعض الصحابة حتى أخذ أحدهما عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض، فلا يزال يأكل حتى يتبين له الأسود من الأبيض فقال ﷺ : (إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل) رواه الإمام أحمد في مسنده، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، برقم(١٩٣٨٩)، (٤/ ٣٧٧)، انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٥١٣).

(٦) مثل تحديد السنة لقدر النصاب التي تقطع به يد السارق كما في مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً) فهذا الحديث مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ

=

لبعض الآيات[1]، ومنها ما جاء موافقاً لما جاء في القرآن؛ بغرض تأكيد الحكم، وتقويته[2]، فابن كثير رحمه الله أعطى هذا المصدر من مصادر التفسير اهتماماً عظيماً، واعتماداً كبيراً، ففسر القرآن بالقرآن، ثم بالمروي عن الرسول ﷺ من الأحاديث، مع مناقشة الأسانيد، والمتون، وبيان الصحيح، والضعيف منها[3].

٣-تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين:

فالصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ؛ لأنهم صحبوا الرسول ﷺ، وعاصروا نزول الوحي، قال ابن تيمية رحمه الله: "وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح"[4].

= ﴿وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[سورة المائدة:آية: ٣٨]، تفسيرالقرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ١٠٨). والحديث رواه البخاري في كتاب الحدود وفي كم يقطع؟ رقم(٦٧٩٠)(٨/ ١٩٩)، ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم (١٦٨٤)، (٥/ ١١٢).

(١) مثل تقييد السنة لليد المقطوعة في السرقة في قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[سورة المائدة:آية: ٣٨]، باليمين لقوله ﷺ لما أخبروه بالمرأة التي سرقت فقال: (اقطعوا يدها اليمنى)، والحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم (٦٦٥٧)، وقد حكم عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله: إسناده ضعيف، (٢/ ١٧٧)، انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ١١١).

(٢) ومن ذلك موافقة الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي ماحدثت به أنفسها مالم تكلم أو تعمل) فهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[سورة البقرة:آية: ٢٨٦]، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٧٣٧)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإعلان والكره والسكران والمجنون،رقم(٥٢٦٩)، (٧/ ٥٩).

(٣) انظر: منهج ابن كثير، د.سليمان اللاحم، مرجع سابق، ص٢٥٨.

(٤) مقدمة أصول التفسير، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ص٩٥، نشر دار الفرقان، بالكويت، =

ثم يأتي بعد تفسير الصحابة ﷺ، تفسير التابعين، وهم الذين عاصروا الصحابةﷺ، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[1]، لذا فالإمام ابن كثير رحمه الله إذا لم يجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، انتقل بعد ذلك إلى التفسير بأقوال الصحابة ﷺ، ثم التابعين، فيذكر عند كل آية ما ورد من الآثار، والأقوال في تفسيرها[2]، وابن كثير رحمه الله حينما يروي هذه الأقوال لا ينقلها على علاَّتها، وإنما يناقشها، ويختار أصحّها، وأرجحها؛ حسب موافقتها للأدلة من الكتاب والسنة، وبهذا امتاز عن غيره من الذين اقتصروا على الجمع دون المناقشة والترجيح.

٤-تفسير القرآن بلغة العرب:

فقد اعتمد ابن كثير رحمه الله على اللغة العربية في تفسيره، وذلك برجوعه إليها واحتكامه لها من خلال الاستشهاد بكلام العرب شعراً، أو نثراً، أو بذكر أقوال علماء اللغة، والاحتجاج بها[3].

= ومؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ.

(١) مقدمة أصول التفسير، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ص ١٠٢.

(٢) فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[سورة الرعد:آية:٤١]، أورد عدة أقوال للصحابة والتابعين، فعن ابن عباس أنه فسرها بالفتوحات الإسلامية للرسول ﷺ، وفي رواية عنه أولم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية، وقال مجاهد، وعكرمة المراد خرابها، وقال الحسن، والضحاك، وهو ظهور المسلمين على المشركين، وفي رواية عن ابن عباس أيضا نقصان أهلها وبركتها، وعن مجاهد أيضاً نقصان الأنفس والثمرات، وقال عكرمة هو الموت، وفي رواية عن ابن عباس أيضا خرابها بموت علمائها، وفقهائها، وأهل الخير فيها، وكذا قال مجاهد أيضاً موت العلماء، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٤٧٢).

(٣) فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[سورة البقرة:آية: ٤٩]، قال: معنى ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ أي يولونكم، قال أبو عبيدة: يقال سامه خطة خسف إذ أولاه إياها، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٢٥٨).

مصادر تفسير ابن كثير رحمه الله:

اعتمد ابن كثير رحمه الله على مصادر كثيرة، ومتنوعة في تفسيره، سواء من كتب التفسير، وكتب السنة؛ التي هي عمدته، أو كتب الفقه، والعقائد، والتاريخ، والسير، واللغة العربية، أو غيرها من المصادر الأخرى[1].

١-فمثلاً في التفسير:

تفسير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية، والرازي، والبغوي، والزمخشري، وابن مردويه، والقرطبي، وغيرهم[2].

٢-ومن كتب الحديث:

صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، وصحيح ابن خزيمة، وابن حبان، وموطأ مالك، ومعجم الطبراني، وسنن الدار قطني، وسنن البيهقي، وسنن سعيد بن منصور، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند البزار، والشافعي، وأبو يعلى، والطيالسي، ومصنف عبدالرزاق، وابن أبي شيبة وغيرهم[3].

٣- ومن كتب التاريخ والسير:

تاريخ ابن عساكر، والسيرة النبوية لابن إسحاق، والواقدي، ودلائل النبوة للأصبهاني وكتاب الشفاء للقاضي عياض، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وتاريخ الخطيب للبغدادي، والبداية والنهاية لابن كثير رحمه الله، وغيرها[4].

---

(١) انظر: ابن كثير ومنهجه في التفسير، د. إسماعيل عبدالعال،ص١٧٢-٢٣٢، رسالة دكتوراه مطبوعة، ط١، طبعة مكتبة فيصل الإسلامية بالقاهرة١٩٨٤م.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ١٩-٢٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٢١-٢٧).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٢٨).

٤-ومن كتب العقائد:

الأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكتاب السنة لأبي القاسم اللالكائي وغيرها[١].

٥-ومن كتب الفقه:

الاستذكار لابن عبدالبر، والشرح الكبير للرافعي، والأم للشافعي رحمه الله، والأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، والشامل لأبي نصر الصباغ، والإملاء للشافعي رحمه الله وغيرها[٢].

٦-ومن كتب اللغة:

الصحاح للجوهري، والغريب لأبي عُبيد القاسم، والزاهر لابن الأنباري، والجمل لابن القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي.

هذه أربعة كتب في علوم اللغة، منها ما ذكر مرة واحدة "كالزاهر" لابن الأنباري، ومنها ما ذكره كثيراً كالغريب والصحاح: أما "الجمل" فكان يرجع إليه ابن كثير إذا احتاج إليه في مسألة نحوية، أو تركيب لغوي[٣].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(١/ ٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٢٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٢٩).

الفصل الأول:

المسائل المتعلقة بالمحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أصناف المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: شروط المحتسب، وصفاته في تفسير ابن كثير رحمه الله.

تقديم:

يجدر بي قبل التحدث عن المسائل المتعلقة بالمحتسب أن أعرّف من المحتسب؟

المحتسب في اللغة: من كان يتولى منصب الحسبة[1]، ويأتي بمعنى الإنكار، ويقول صاحب القاموس: "واحتسب بكذا أجراً عند الله: اعتدّه ينوي به وجه الله، واحتسب عليه: أنكر عليه، ومنه المحتسب"[2].

المحتسب في الاصطلاح:

من يقوم بالاحتساب، أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء أنصب لذلك أم لا، ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه ولي الأمر للقيام بالحسبة، وأطلقوا عليه أيضاً والي الحسبة، أما من يقوم بها دون تعيين من ولي الأمر فقد أطلقوا عليه اسم «المتطوع»[3].

وقال ابن الإخوة في تعريف المحتسب: من نصَّبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم[4].

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملاؤه، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (١/ ١٧١)، طبعة دار الدعوة.

(٢) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (١/ ٩٤-٩٥)، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.

(٣) أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ص١٧٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، وانظر: تعريف المحتسب المتطوع في ص٣٤.

(٤) معالم القربة في أحكام الحسبة، ضياء الدين محمد بن محمد أحمد القرشي، ص١٣، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١٤٢١،١هـ.

المبحث الأول: أصناف المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله:

الصِّنْفُ في اللغة: بالكسرِ والفتحِ : النَّوْعُ والضَّرْبُ، الجمع:أَصْنافٌ وصنوف[1].
الصنف في الاصطلاح: الطائفة من كل شيء، أو النوع، يقال: صنَّف متاعه، جعله أصنافاً، ومنه تصنيف الكتب[2].

فلقد خاطب الله تعالى الأمة الإسلامية كاملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تفرق النصوص أو تميز نوعاً عن نوع، أو فئة عن أخرى، فكل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، مخاطب بهذا الواجب، وعليه القيام بهذا التكليف، وأداء هذه الفريضة حسب جهده وطاقته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام أمر الناس، وصمام أمن الحياة، لا تستقيم الدنيا ولا تصلح بدونه، وقد اعتنى الحافظ ابن كثير رحمه الله ببيان هذا الأمر عناية كبيرة[3]، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]، فهذه الآية الكريمة تبين سبب خيرية هذه الأمة عن غيرها من الأمم الأخرى؛ وهو قيامها بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان الكامل بالله تعالى وتوحيده، فهو سبحانه يخبر عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقال البخاري رحمه الله: فيما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه :

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (١ / ١٠٧١).
(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (١/ ٤٦٣)، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
(٣) انظر: الأصول العلمية والعملية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د.عبدالرحيم المغذوي، ص٢٦١، دار الحضارة، ط٢، الرياض، ١٤٣١هـ.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: (**خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام**)[1]، وهكذا قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني: خير الناس للناس، والمعنى: أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس؛ ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، وكما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

ولهذا لما مدح الله تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم، فقال: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: بما أنزل على محمد ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: قليل منهم من يؤمن بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة، والكفر، والفسق، والعصيان[4].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني: المجاهدين والعلماء،...والمقصود من هذه

---

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري،كتاب التفسير، باب: كنتم خير أمة أخرجت للناس، برقم (٤٥٥٧)، (٦/ ٤٧)، طبعة دار السلام للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩٣)

(٣) سورة المائدة، آية:٧٩

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ١٠٣)

(٥) سورة آل عمران، آية:١٠٤.

الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه.[1]

فمما يفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أنه قسم مقصود هذه الآية الى قسمين، فالأول يكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، مخصصاً لهذا الأمر ومتصدياً لهذا الغرض يعني المولى الرسمي، والقسم الثاني جميع الناس، وكل أفراد الأمة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يعني المتطوع، كما ثبت في صحيح مسلم، قال رسول ﷺ : (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)[2].

ويفهم من كلام ابن كثير رحمه الله بذكره لهذا الحديث أن الذي يغير المنكر بيده يكون له ولاية شرعية يعني الرسمي، أما المتطوع لا يغير بيده في الغالب بل يكون تغييره باللسان فإن لم يستطع فبقلبه.

وقال الإمام الترمذي رحمه الله: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**)[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١).

(٢) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (١٨٦)، (١/ ٥٠)، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٩١).

(٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٩)، وحسنه الإمام أحمد شاكر (٤/ ٤٦٨)، ط٢، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٨ه.

عَظِيمٌ ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية، في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم[2].

فمن خلال كلام ابن كثير رحمه الله في بيان أنواع القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يمكن لنا أن نجمله، ونلخصه في نوعين كبيرين، هما:

النوع الأول:الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر المولَّى (الرسمي):

وهو من يعينه ولي الأمر، وينتدبه للقيام بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وفق أحكام الشريعة الإسلامية، لقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: " أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن"[3]، **ومن أصنافه**: المحتسب المولى، ورجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

النوع الثاني: الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر غير المولَّى (المتطوع):

وهو الذي يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر طواعية، ومن غير تولية من ولي الأمر، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق أحكام الشريعة الإسلامية، امتثالاً لأمر الله عزّوجل، لقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه)[4]، **ومن أصناف هذا النوع:**

١- العلماء، والدعاة، والوعاظ، ومن لهم نظر شرعي.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[5]، قال الحافظ ابن كثير

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١).

(٥) سورة هود، آية:١١٦.

رحمه الله: "وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيره، وفجأة نقمه"(١)، وقال رحمه الله: "فإن الأمر بالمعروف واجب على العالم"(٢)، فالعالم عليه مهمة عظيمة، يجب أن يؤديها لإبراء ذمته أمام الله جل جلاله.

٢- الآباء، والأمهات، أو الأبناء، قال الله تعالى حكاية عن لقمان مع ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر، وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور"(٤)، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٥)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: تميله عنهم استكباراً عليهم"(٦).

٣- عامة الناس ذكوراً، وإناثاً، وفي أي زمان أو مكان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"(٧).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٦١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٢٤٧).

(٣) سورة لقمان، آية:١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٣٣٨).

(٥) سورة لقمان، آية:١٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣٩٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٣٦١).

خلاصة القول:

أن المحتسب صنفان:

الأول: من ولاه ولي أمر المسلمين، فإنه يتعين عليه القيام بهذه الشعيرة، ولا ينشغل عن غيرها.

والثاني: محتسب متطوع، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، استجابة لأمر الله عز وجل، ويحق له الانشغال بغيره، إذا وجد من يسد مكانه في الاحتساب، أو وجد من يتولى الاحتساب بدلا منه، ولكنه يتعين عليه الاحتساب على من ولاه الله رعايتهم، وتربيتهم من أهل بيته.

المبحث الثاني: شروط المحتسب وصفاته في تفسير ابن كثير رحمه الله:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شروط المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله:

الشرط في اللغة: العلامة الدالة المميزة(١).

الشرط في الاصطلاح: هو الذي يتوقف عليه الشيء، ولم يدخل في ماهية الشيء، ولم يؤثر فيه(٢).

ذكر العلماء جملة من الشروط التي ينبغي توافرها في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، سواء المولى (الرسمي) أو المتطوع، ومن العلماء من أفاض في تلك الشروط، ومنهم من أوجز وأجمل، والحقيقة أن ذكر العلماء لتلك الشروط، إنما هو من باب الاحتياطات والمحترزات المهمة، حتى يتمكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من تأدية مهمته على أحسن وجه، وأكمل طريقة.

يقول ابن النحاس رحمه الله :"يشترط في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإسلام، والتكليف، والاستطاعة، وهذه الشروط متفق عليها"(٣)، وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله، جملة من شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر التي استنتجتها من خلال تفسيره، ومن خلال ماسبق، هذه الشروط هي:

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور،٢/ ٢٩٧، مادة شرط.

(٢) انظر: التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، ص١٢٦، طبعة دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٣) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين،وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، ابن النحاس، تحقيق: عمادالدين عباس سعيد، ص٣٣، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الشرط الأول: الإسلام:

هذا الشرط من أهم الشروط، بل هو من أساسها، وأصلها الذي ترجع إليه، وتنطلق منه، وذلك لأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في حقيقته فريضة شرعية، وواجب ديني أكيد، يباشره المسلم امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ولا يتصور أن يقوم بهذا الواجب كافر، أو أي شخص لا يدين بدين الإسلام، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة للدين وإعزاز لأهله، ورفعة لشأنهم، وفيه ولاية لأمرهم، والكافر باتفاق العلماء لاتجوز ولايته على المسلم.

ولقد بين الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1]، حيث ذكر في هذه الآية أقوال عدة منها:

"الأول: أن المراد يوم القيامة، والثاني: أن المراد به في الدنيا، بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[2]، ولكنه مخصوص بالحجة، والمعنى أن حجة المسلمين غالبة على حجة الكل، وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة والدليل، والثالث: هو أنه عام في الكل إلا ماخصه الدليل"[3]، وقد رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله القول الثاني وقد أكد ذلك في قوله: (قد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قولي العلماء، وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافرين لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والإذلال، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال؛ لقوله تعالى:

---

(١) سورة النساء، آية:١٤١.

(٢) سورة غافر، آية:٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٤٣٧).

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾)[1].

وخلاصة القول: أنه لما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة للدين، وحماية لجنابه كان من الطبيعي أن يكون المؤمنين به وحدهم أهلاً له، ومسؤولين عنه، أما الذين لايؤمنون به، فهم غير صالحين للقيام به، ولا مطالبين بأدائه.

الشرط الثاني: التكليف:

المقصود بالتكليف أن يكون الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر مكلفاً أي بالغاً عاقلاً، إذ إن ذلك هو مناط التكليف بأحكام الشرع عامة، ولا وجوب إلا على المكلف، وأما غيره فلا وجوب عليه، فقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يبرأ، أو يعقل**)[2].

فمن مفهوم الحديث الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله، أنه لا احتساب على المجنون، ولا على الصغير، بل يلزم أن يكون عاقلا بالغاً ليكون أهلاً للاحتساب، ويقاس على المجنون كذلك شارب المسكر، أو السكران، فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[3]،"ولم يتوجه النهي إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب؛ لأن ذاك في حكم المجنون، وإنما خوطب بالنهي الثمل[4] الذي يفهم التكليف، وهذا حاصل ما قاله،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، (٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٢١٥)، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب علي بن طالب، وقد ذيل الحديث بأحكام الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، رقم (١١٨٣)، (١/ ١٤٠)، ورواه أبو داود في سننه، كتاب: الحدود، باب: المجنون يسرق أو يصيب حداً، صحيح سنن أبي داود-الألباني، رقم(٤٤٠٣)، (٣/ ٣٨٢-٨٣٣).

(٣) سورة النساء، آية:٤٣.

(٤) الثَّمِل: الذي قد أَخذ منه الشرابُ والسُّكْر، لسان العرب، لابن منظور، (١١ / ٩١)

وقد ذكره غير واحد من الأصوليين، وهو أن الخطاب يتوجه إلى من يفهم الكلام، دون السكران الذي لا يدري ما يقول؛ فإن الفهم شرط التكليف"[1]، فيفهم من كلامه رحمه الله أنه إذا كانت الصلاة وهي عظيمة ممنوعة عن السكران، فكذلك الاحتساب لا يكون ممن ذهب عقله بجنون، أو سكر أو غيره.

وقال ابن النحاس رحمه الله: "وأما اشتراط التكليف، فإنه شرط لوجوب سائر العبادات، فلا يجب الأمر، والنهي على مجنون ، ولا صبي، لأن القلم مرفوع عنهما، ولكن لو أنكر الصبي المميز وأثيب على ذلك ولم يكن لأحد منعه، لأنها قربة وهو من أهل أدائها لا من أهل وجوبها"[2].

الشرط الثالث: الاستطاعة:

من لطف الله تبارك وتعالى أنه لا يحمل الإنسان فوق استطاعته، وما ليس له به قدرة، ولا ريب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحتاج من القائم عليه والمباشر له إلى مقدرة واستطاعة؛ لينهض بأعبائه، ويقوم بمسؤولياته، فقد بين ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، أي : "لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم"[4]، فالمحتسب يسقط عنه التكليف إذا كان غير مستطيعٍ، وهذا من من رأفة الله ورحمته به، فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[5]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: جهدكم

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٣١٠).

(٢) تنبيه الغافلين، لابن النحاس، ص٣٣ .

(٣) سورة البقرة، آية:٢٨٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧٣٧)

(٥) سورة التغابن، آية:١٦.

وطاقتكم [1]، وكما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)"[2]، فتكون الاستطاعة شرطاً للمحتسب فلا احتساب بلا استطاعة، وقد قسم الحافظ ابن كثير رحمه الله، الاستطاعة إلى قسمين: فقال "أما الاستطاعة فأقسام: تارة يكون الشخص مستطيعاً بنفسه، وتارة بغيره، كما هو مقرر في كتب الأحكام"[3]، فالمحتسب إذا لم يستطع إنكار المنكر بنفسه، وذلك لعدم قدرته، ولعدم استطاعته، وصعوبة أن ينكره وحده، فإنه ينكره مع غيره من المحتسبين، حتى يزول هذا المنكر بإذن الله تعالى.

وخلاصة القول: أنه لا يمكن تصور عدم القدرة والاستطاعة، إلا في الإنكار باليد، واللسان، أما الإنكار القلبي، وهو المرتبة الثالثة والآخرة، فالقدرة عليها موجودة دائماً، فلا يجوز لمسلم رأى منكراً لم يستطع تغييره باليد، أو باللسان، أن يجالس فاعليه، أو يرضى عن فعلهم، بل عليه أن يكره ذلك المنكر، ويعزم أنه لو قدر عليه بقول، أو فعل لأزاله؛ لأنه يجب كراهية المنكر، باعتباره معصية، والراضي بها شريك لفاعلها، ومما ينبغي أن يلاحظ، أن تغيير المنكر بالقلب ليس موقفاً سلبياً، بل إن فاعليته الاجتماعية تتضح في اعتزال وترك المنكر وفاعليه، وهذا يحقق أمرين :

١- إبلاغ فاعل المنكر سوء عمله، عن طريق اعتزاله، وهجره، وتجنبه، وتركه.

٢- تأكيد كراهية القلب للمنكر، فلا تسري عدوى التقليد من فاعله إلى غيره في

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ١٤٠)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١)، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان، برقم(١٨٦)، (١/ ٥٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٨٢).

المجتمع[1].

وخلاصة القول: يتضح لي من خلال استقرائي كلام ابن كثير رحمه الله أن من شروط المحتسب التي تجب أن تتحقق فيه ليتمكن من الاحتساب، هي الإسلام، فلا يحتسب كافر على مسلم، بل لا يولَّى الكافر على مسلم، وكذلك يجب أن يكون المكلف عاقلاً، يعقل ما يقول، فلا تكليف على المجنون، وأن يكون بالغاً، فلا احتساب للصغير الذي لا يقدر المصالح والمفاسد، وكذلك لا بد من كون المحتسب قادراً ومستطيعاً على الاحتساب .

(١) انظر: حقيقة الأمربالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد بن ناصر العمار، ص٦١-٦٢، بتصرف يسير.

المطلب الثاني: صفات المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله:

لابد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، من التحلي والتخلُّق بالصفات العالية الكريمة في أثناء تعامله مع الناس، وأمرهم، ونهيهم، وإرشادهم، وتحذيرهم، وذلك راجع في نظري إلى الأسباب التالية:

أولاً: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفسه يحتاج إلى التأدب معه؛ لأنه ترجمان الشريعة، وعنوان الرسالة.

ثانياً: أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يكون هو نفسه أول المتأدبين، وأول المؤتمرين والمنتهين، والممتثلين لتوجيهات الشريعة وأحكامها، وذلك حتى يكون قدوة لغيره، وأسوة صالحة لهم، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "كيف يليق بكم وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؛ فتنتبهوا من رقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم"[2].

ثالثاً: أن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، قدوة وأسوة حسنة في رسول الله ﷺ، الذي كان قدوة للناس في كل شيء، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٢٤٦)

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين"[1].

ويمكن أن نذكر أهم هذه الصفات فيما يلي:

أولاً: الإخلاص:

يقصد بالإخلاص: "تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين"[2].

فالإخلاص له منزلة عظيمة؛ لأنه عليه مدار قبول الأعمال، فالله تعالى لا يقبل عملاً إذا لم يكن خالصاً له سبحانه، بعيداً كل البعد عن الرياء والسمعة، وأن يبتغي بعمله وجه الله تعالى، وأن يكون همه إخلاص العمل لله تعالى ظاهراً، وباطناً، فإن قام الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر بذلك، فلا ريب أن الله ﷻ سيثيبه على عمله، ويكتب له التوفيق، والسداد ويجعل له قبولاً فيما يقول، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3]، فالواجب على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يخلص لله تعالى في أمره، ونهيه، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: " ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ﴾أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله، صوابا على شريعة رسول الله "ﷺ[4].

وقد قال الله تعالى، حكاية عن نوح عليه السلام، في دعوته واحتسابه على قومه: ﴿وَمَآ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٣٩١)

(٢) مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية، (٢/ ٩١)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ه.

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٠٥)

﴿أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله"[2].

وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى، حكاية عن نبي الله صالح عليه السلام، في دعوته واحتسابه على قومه: ﴿وَمَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، "فدعاهم نبيهم صالح إلى الله جل جلاله، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل"[4].

ويقول الله تعالى، حكاية عن لوط عليه الصلاة والسلام، في دعوته واحتسابه على قومه: ﴿وَمَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فدعاهم إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث"[6].

فالإخلاص مهم لكل عمل، وخصوصا للمحتسب، حتى يكون له أثر عمله، والقبول من الله عز وجل، كما كان إخلاص سلف هذه الأمة في دعوتهم إلى الله، واحتسابهم على قومهم وأهلهم، وقد أكد على ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآيات السابقة.

---

(١) سورة الشعراء، آية:١٠٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٥١).

(٣) سورة الشعراء، آية:١٤٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٥٥).

(٥) سورة الشعراء، آية:١٦٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٥٧).

ثانياً: التقوى:

التقوى سبب للنجاة من الكروب بإذن الله تعالى، وحقيقتها أن تجعل بينك وبين عذاب الله تعالى وقاية، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه[١].

ولاريب أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، سوف يواجه أنماطا كثيرة من المنكرات، والمسالك المنحرفة، في أوقات وأماكن متعددة، فعليه بتقوى الله تعالى، والخوف منه، ومراقبته في السر والعلن، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[٢]، "أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجا"[٣]، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في موضع آخر : "وقال ابن مسعود، ومسروق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ يعلم أن الله إن شاء منع...وقال قتادة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ أي: من شبهات الأمور، والكرب عند الموت"[٤]، وهي كذلك سبب في بث العلم في النفس، وقذفه في القلب، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٥] "أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره واتركوا زجره"[٦]، وقد أكد على هذا المعنى رحمه الله في موضع آخر، فقال: "فإن من اتقى الله بفعل أوامره، وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته، ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه -وهو محوها-، وسببا لنيل ثواب الله الجزيل"[٧]، فالمحتسب إذا اتصف بهذه الصفة -

---

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٦٥.

(٢) سورة الطلاق، آية:٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ١٤٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ١٤٧).

(٥) سورة البقرة، آية:٢٨٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧٢٧).

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٤٣).

التقوى-، فإن الله لن يضيعه بل سينصره، ويسعده في الدنيا والآخرة، وسيتشرف بمعية الله له، كما أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1]، "أي: معهم بتأييده، ونصره، ومعونته، وهذه معية خاصة...، وأما المعية العامة، فبالسمع، والبصر، والعلم...ومعنى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾أي: تركوا المحرمات، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم، ويكلؤهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم، ومخالفيهم"[2].

ثالثاً: العلم:

للعلم أهميته، ومكانته في حياة المسلم عامة، وفي حياة الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر خاصة، وذلك لما ينبغي أن يتوافر فيهم من إدراك، ومعرفة بما يأمرون الناس به، وبما ينهونهم عنه، والحقيقة أن هنالك العديد من النصوص التي ذكرت العلم، وحثت عليه، وأثنت على العلماء، وطلاب العلم، ومن ذلك ما أكده الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[4]، "إنما يخشاه حق خشيته، العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم، وأكثر"[5]، وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[6]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة النحل، آية:١٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٦١٥).

(٣) سورة الزُّمَر، آية:٩.

(٤) سورة فاطر، آية:٢٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٥٤٤)

(٦) سورة المجادلة، آية:١١.

قال رسول الله ﷺ: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[1].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)[2].

وقد أكد ذلك المعنى، الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[3]، "فإن طريقة أهل الإيمان، مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم، وترك استحق الغضب"[4]، فمن مجموع تلك النصوص، نجد أهمية العلم، حتى يصدر الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، عن علم بما يأمر الناس به، وينهاهم عنه، كما أن العلم يقي الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، عثار الجهل، وزيف الخرافة، ومنحدرات الباطل، وأعظم ما ينبغي للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر أن يعلمه ويهتم به، هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ثم مسائل العقيدة الأخرى، وكذلك بقية العبادات كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وأمور الشريعة الأخرى من المعاملات، والأخلاق، وما يحتاج الناس إلى العلم به، ومعرفته.

رابعاً: الصبر:

يعرف الصبر بأنه: "حبس النفس على مايقتضيه العقل، والشرع، أو عما يقتضيان حبسهما عنه"[5]، وقيل في تعريفه: "حبس النفس عن الجزع، والتسخط، وحبس

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه:١/ ٨٠ المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم:(٢٢٠)، وصححه الألباني في كتابه صحيح ابن ماجه، في أول الكتاب، رقم الحديث(١٨٣)، (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم ٧١ (١/ ٣٠).

(٣) سورة الفاتحة، آية:٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٤١).

(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٢٧٣.

اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"[1].

وللصبر أنواع ثلاثة هي: "الصبر عن معصية الله، والصبر على طاعة الله، والصبر على البلاء"[2].

ولا ريب أن الصبر مطلب عظيم للمسلمين عامة، ولكل من تصدر للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر خاصة، وقد تضافرت النصوص العديدة على الصبر وبينت أهميته، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، "والصبر صبران، فصبر على ترك المحارم، والمآثم، وصبر على فعل الطاعات، والقربات، والثاني أكثر ثواباً؛ لأنه المقصود، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين، الصبر لله بما أحب، وإن ثقل على الأنفس والأبدان، والصبر لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء، فمن كان هكذا، فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم، إن شاء الله"[4].

وقال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[5]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: على تكذيب قومهم لهم"[6].

ومما يفهم من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله، أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، عليه أن يصبر حتى لو كذبه قومه؛ لأن الله وعد الصابرين خيرا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن القيم، (٢/ ١٥٦).

(٢) مدارج السالكين، للإمام ابن القيم، (٢/ ١٦٤-١٦٨).

(٣) سورة البقرة، آية:١٥٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٤٤٦)

(٥) سورة الأحقاف، آية:٣٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٣٠٥)

﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]،وإذا كان الصبر ضروريا لكل مسلم، فإنه للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر أشد ضرورة؛ لأنه يعمل في ميدان استصلاح نفسه، وفي ميدان استصلاح غيره، فإن المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، خير من ذلكم الرجل السلبي، الذي يحصر الخير على نفسه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)**[5].

ولقد أدرك أهمية التحلِّي بهذه الصفة –الصبر– لقمان الحكيم حينما أوصى ولده بوصايا متعددة ضمّنها التحلي بالصبر، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[6]، قال: "﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: بحدودها، وفروضها، وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك، وجهدك، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، علم أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى،

---

(١) سورة الزُّمَر، آية:١٠.

(٢) سورة البقرة، آية:١٧٧.

(٣) سورة الرعد، آية:٢٣،٢٤.

(٤) سورة البقرة، آية:١٥٥.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب، (٢/ ٤٣)، رقم (٥٠٢٢)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح(٧/ ٩٤).

(٦) سورة لقمان، آية:١٧.

فأمره بالصبر، وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور"[1].

وقد كان خير الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ، يصبر ويحتسب على ما يصيبه من جهالات الجاهلين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[2].

فما أحرى كل من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، أن يتدبر فضيلة الصبر، وأهميته لعمله، وحاجاته له دائماً، وألا يغيب عن ذهنه أنه يبلغ عن الله تعالى أمره، ونهيه، وأنه لابد، وأن يلتقي بأشكال مختلفة من المواقف، ومن أصحابها الذين لهم رغبات، وأهواء، وشهوات، وقد يعاندون الآمر، والناهي في سبيل ذلك، وقد يؤذونه بأي نوع من أنواع الأذى القولي، والعملي، فليصبر وليصابر، وليثق بوعد الله تعالى، وليكن له في منهج الأنبياء، والرسل عليهم السلام، والدعاة من بعدهم أسوة، وقدوة حسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٣٣٨)

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم (٣١٤٩)، (٤/ ٧٢).

(٣) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

خامساً: الصدق:

الصدق: ضد الكذب، وهو الإبانة عما يخبر به على ماكان[1]، وقيل: الصدق: هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته، واجتماع أجزائه[2].

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة، على بيان فضيلة الصدق، ومآل الصادقين، ومن ذلك ما أكده الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3]، "أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا ، وقد قال الإمام أحمد: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإيَّاكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً)**[4]، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، في موضع آخر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ

---

(١) التعريفات، للجرجاني، ص١٣٢.

(٢) مدارج السالكين، للإمام ابن القيم:(٢/ ٢٩٠).

(٣) سورة التوبة، آية:١١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٢٣٠)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، برقم(٦٠٩٤)، (٨/ ٣٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق، برقم (٦٨٠٥)، (٨/ ٢٩).

﴿كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، فقال: "قوله: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ هذا في الأقوال، فإن الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية، ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومن صدق نجا"[2].

والمتأمل في حال الصدق، وما يورثه في نفس صاحبه من الطمأنينة، والهدوء، وراحة البال، يدرك فضيلة هذه الصفة، وأهميتها، وهو مطلب مهم للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر سواء أكان بينه وبين ربه تبارك وتعالى، أم بينه وبين نفسه، أم بينه وبين الناس، أم فيما بينه وبين ما يأمر به، وينهى عنه، ولا ريب أن الناس تقبل على الصادق معهم، فهم يحسون صدقه في كلامه، ولهجته ومسلكه، وأخذه، وعطائه معهم، وهم كذلك يبتعدون، وينفرون تماما عن الكاذب، أو المداهن في احتسابه عليهم.

سادساً: الرفق:

يعرف الرفق بأنه: لين الجانب، وهو خلاف العنف[3]، وقيل: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[4].

فالرفق صفة عظيمة، وخلق كريم، وأدب رفيع، حري بكل آمر بالمعروف، وناه عن المنكر أن يتخلق ويتأدب به، والمتأمل في حال الأنبياء، والرسل -عليهم السلام- وما لا قوه

---

(١) سورة الأحزاب، آية:٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٤١٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري (المعروف بابن الأثير)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (٢/ ٢٤٦)، دارالباز، مكة المكرمة.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١٠/ ٤٤٩)، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

من أقوامهم من صنوف الأذى، والعذاب، واحتمال الأنبياء، والرسل -عليهم السلام- لكل ذلك، بل والرفق بالناس، ولين الجانب معهم، ومقابلة السيئة بالحسنة، والشر بالخير، والضر بالنفع، يدرك المتأمل في ذلك كله أن الرفق مطلب، ولازم لكل محتسب آمر المعروف، وناهٍ عن المنكر، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، حيث قال: (قوله: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: تمرد وعتا وتجهرم على الله وعصاه، وقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين...، والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع)[2].

وقد كان من خلق نبينا محمد ﷺ الذي اشتهر وعرف به الرفق في أمره، ونهيه، ومعرفة أحوالهم، ومراعاة شؤونهم، وعدم المشقة عليهم بأي وجه من الوجوه، وتلمس العذر لهم، وقد أكد المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره فقال: "عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه)**"[3]، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[4].

---

(١) سورة طه، الآيتان:٤٣،٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٩٤)، ومعنى أنجع: نفع وظهر أثره، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملائه، (٢ / ٩٠٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ١٢٥) والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ، رقم (٦٧٦٦)، (٨/ ٢٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٤)، (٤/ ٢٠٠٤).

ويفهم من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، حينما يصاحبه الرفق، فإن الناس تقبل عليه، وترضى به، وتسارع إلى تنفيذه عن طواعية، وأما إذا صاحبه عنف، أو قسوة، فإن الناس تنفر عنه وتدبر عن صاحبه، ومن هنا فقد دعا النبي ﷺ لمن يرفق بأمته، ويشفق عليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به**)[1]، ومن خلال هذا التوجيه ينبغي على كل محتسب، أن يلتمس الرفق بالناس، ولين الجانب معهم، وتوقير كبيرهم، والبعد عن مخاشنتهم، أو التشديد عليهم، وخصوصاً عند أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وذلك لأنه أمر قد يصعب على بعض النفوس، وترى فيه تصغيرا لأعمالها، وجرحا لكرامتها، وتغييرا لما اعتادت عليه.

سابعاً: الحلم والأناة:

يعرف الحلم بأنه: الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل : هو تأخير مكافأة الظالم[2].

وتعرف الأناة : هي التثبت[3].

والحلم، والأناة يعدَّان من خلق الأنبياء، والرسل- عليهم السلام - حيث أمرهم الله تبارك وتعالى بالتخلق بهما، فكان من هديهم، ونهجهم، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[4]، أي: " وقد كان

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، (٣/ ١٤٥٨)، رقم (١٨٢٨).

(٢) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٩٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (١/ ١٨٩).

(٤) سورة هود، آية:٧٥.

إبراهيم كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها"[1]، فيفهم من كلامه رحمه الله، أن المحتسب يجب عليه أن يحلم على من يحتسب عليه، وأن يكون الحلم صاحباً له في أموره، وفي احتسابه مقتديا بالأنبياء، والرسل عليهم السلام، بحلمهم على قومهم حتى لو تعرض للأذى، فقد أثنى النبي ﷺ على أشج عبدالقيس رضي الله عنه بقوله: (**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**)[2]، وقد أكد معنى الأناة الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[3]، أي: "يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له؛ لئلا يحكم بقوله فيكون -في نفس الأمر- كاذباً، أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون؛ لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال"[4]، فيفهم من كلامه رحمه الله أن التثبت، والتأكد من تحقق وجود المنكر، ووقوعه ظاهراً للعيان، يسوغ الاحتساب عليه، أما أن يهتم المحتسب في الإنكار على منكر لم يقع بعد، أو يظن وجوده، فإن هذا يوقع في أضرار ومخاطر كثيرة، بل قد يترتب عليه وقوع مفاسد كثيرة، وقد جاءت الشريعة بجلب المصالح، ودرء المفاسد، ولا شك أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، يحتاج إلى الحلم، والأناة، والاتصاف بهما، وكثيراً ما يصادف الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، في طريق احتسابه صنوفاً عديدة من البشر، لهم أفكار

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٢٢٧)

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم (١٧)، (١/ ٤٦).

(٣) سورة الحُجُرات، آية:٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٣٧٠)

وعقائد، وتوجهات بل وتهجمات عليه، في أي أمر من أموره، فالواجب على المحتسب الحلم عليهم، والرحمة بهم، والأناة، وعدم الاكتراث بما يصدر عنهم، والنظر إليهم على أنهم مرضى يحتاجون إلى طبيب يشخص الداء، ويصف الدواء بكل روية وتمهل، حتى يؤتي العلاج الثمرة المرجوة منه بإذن الله تعالى.

خلاصة القول: أن مسائل الحسبة المتعلقة بالمحتسب قد بينها الحافظ ابن كثير رحمه الله من خلال إيضاحه لأصناف المحتسب، حيث إنه صنفهم لمحتسب رسمي ومتطوع، وكذلك ذكر شروطه وصفاته التي يجب أن يتصف بها، فيكون قاصداً من احتسابه رضى الله جل جلاله، مخلصاً له في القول والعمل، مقتديا بالأنبياء والرسل عليهم السلام، ومتقياً الله عز وجل؛ فهي سبب للنجاة من الكروب بإذن الله، ومتحصناً بالعلم الشرعي؛ حتى يكون أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، على علم ونور من الله عز وجل، لا عن جهل وضلال واتباع للهوى، ويتحمل ما يأتيه من الأذى، ويصبر على جهل من خالف الشرع، رغبة في هدايته وابتغاء ما عند الله من الثواب الجزيل، الذي أعده للصابرين، ويكون نصحه واحتسابه بصدق، فإن الناس تقبل على الصادق معهم، ويكون رفيقاً لين الجانب، وحليماً لا يتسرع عند أي نبأ يأتيه، بل يتثبت منه ويتحرى عنه، حتى يكون احتسابه موافقا لشرع الله عز وجل.

الفصل الثاني :

المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه في تفسير ابن كثير رحمه الله .

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : أصناف المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله .

المبحث الثاني : حقوق المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله .

تقديم:

يجدر بي قبل التحدث عن المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه، أن أعرف من المحتسب عليه؟

يعرف المحتسب عليه بأنه: "هو المنكر عليه قبيح عمله، أو من يوجه إليه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[(١)]، **وقيل:** هو "المقترف للمنكر، أي أنه هو المأمور بالمعروف المنهي عن المنكر"[(٢)].

المبحث الأول: أصناف المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله:

الصِّنْفُ في اللغة: بالكسرِ، والفتحِ : النَّوْعُ، والضَّرْبُ والجمع: أصْنافٌ[(٣)].

الصنف في الاصطلاح: الطائفة من كل شيء، أو النوع يقال: صنف متاعه جعله أصنافاً، ومنه تصنيف الكتب[(٤)].

ففي هذا المبحث سنعرض بإذن الله لأصناف المحتسب عليهم، التي تطرق لها الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره، وقد قسمتها أصنافاً عدة سأبينها بإذن الله تعالى على النحو التالي:

---

(١) نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، ص٨٢، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ.

(٢) الدعوة إلى الله – الرسالة (الوسيلة-الهدف)، د.توفيق الواعي، ص٣٣٨، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (١ / ١٠٧١)، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (١/ ٤٦٣)، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

الصنف الأول: الاحتساب على عامة الناس:

عامة الناس هم أكثر أصناف المحتسب عليهم من المسلمين، فهم الأغلبية من الناس، حيث إن منهم الفقراء والضعفاء، ونحوهم ممن يعمل في أنواع الحرف، وسائر المهن، ومنهم كما يعبر عنهم ابن كثير بالهمج، والرعاع الذين هم أتباع كل ناعق[1]، ومنهم الشباب، والأطفال، والنساء، ويغلب على هذا الصنف من الناس أنهم أسرع استجابة من غيرهم للخير، وقبولاً للحق، وهذا راجع إلى سلامة فطرهم، وأصالة الخير في نفوسهم، ويمكن تصنيفهم من حيث قوة التزامهم بالإسلام وضعفه، ومن حيث معرفتهم للإسلام وجهله، إلى ثلاثة أقسام:

١- ظالم لنفسه.

٢- مقتصد.

٣- سابق بالخيرات.

كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[2].

فالظالم لنفسه: "المفرِّط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات"[3].

والمقتصد: "المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات"[4].

والسابق بالخيرات: "الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٨/ ١٤٠)، في أحداث سنة ٧١٤هـ.

(٢) سورة فاطر، آية:٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٥٤٦)

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦ / ٥٤٦)

والمكروهات وبعض المباحات"[1].

وعلى ضوء تعريف الحافظ ابن كثير رحمه الله لهذه الأقسام، فإن طريقته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على عامة الناس، تتلخص في الأمور التالية:

١-الاحتساب على كل قسم حسب حاله، وموقفه من الاستجابة إلى الحق، والالتزام به، فالسابق إلى الخيرات، والمستقيم على الطاعة، يكون الأمر بالمعروف عليه بأن يكثر من الطاعات، ويزداد من الخيرات، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "حافظوا على الإسلام في حال صحتكم، وسلامتكم، لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذاً بالله من خلاف ذلك"[3].

ومما يفهم من ذلك أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، إذا رأى من يظهر منه الخير، والصلاح، فليحثه على التزود بالأعمال الصالحة، وهذا من الأمر بالمعروف.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان، وشعبه، وأركانه، ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، وتقريره، وتثبيته، والاستمرار عليه"[5].

والظالم لنفسه عليه بالحرص، والمبادرة بالتوبة، والرجوع إلى الله، والإنابة إليه،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦ / ٥٤٦)

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٨٧)

(٤) سورة النساء، آية:١٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٤٣٤)

والإقلاع عن المعاصي والآثام، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: كل من تاب إلي تبت عليه من أي ذنب كان...وقوله ثم اهتدى أي لزم الإسلام حتى يموت"[2].

وأما المقتصد فيكون بأمره بالمعروف، وذلك بدعوته إلى الثبات على الطاعة، وينهى عن المعصية، وعن الوقوع فيها، ويطلب منه بأن يترقى بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أي: أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ ومنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب، وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب، وقوله ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه"[4]، فالآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، عليهم أن يستفيدوا من هذا التقسيم، وأن يتعاملوا مع كل قسم حسب أحوالهم.

٢-من الأمور التي يحرص عليها الحافظ ابن كثير رحمه الله مع المحتسب عليهم، تذكيرهم وأمرهم بصحبة الأخيار، ونهيهم وتحذيرهم من دعاة السوء والأشرار، فيقول رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

---

(١) سورة طه، آية:٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣٠٨-٣٠٩)

(٣) سورة الأعراف، آية:٢٠١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٥٣٤)

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، أي "والمراد بهذا كل فرد، من آحاد الأمة، أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد التذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾"[2]، كذلك الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، يجب عليه تحذير عامة الناس، كبيرهم وصغيرهم، من هذه الجلسات، التي يكون فيها استهزاء بالدين، وينهاهم عن هذا المنكر، ويحثهم على اختيار الرفقة الصالحة التي تدلهم على الخير.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله،..... قال رسول الله ﷺ: **(مروا الصبي بالصلاة؛ إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين، فاضربوه عليها)**[4]،.....قال الفقهاء: وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمريناً له على العبادة؛ لكي يبلغ، وهو مستمر على العبادة، والطاعة، ومجانبة المعصية، وترك المنكر"[5].

الصنف الثاني: الاحتساب على العلماء:

العلماء هم ورثة الأنبياء، كما قال ﷺ: **(إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر)**[6].

---

(١) سورة الأنعام، آية:٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٢٧٨)

(٣) سورة التحريم، آية:٦.

(٤) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، وقد ذيل بأحكام الشيخ الألباني: حسن صحيح، رقم (٤٩٤)، (١/ ١٨٧)، دار السلام للنشر ، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ١٦٧)

(٦) جزء من حديث رواه أبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، كتاب العلم، باب الحث على =

فالعلماء ورثوا عن الأنبياء العلم، فهم يحملونه في صدورهم، ويعملون به، ويدعون الناس إليه، والعلماء هم أئمة الدين الذين "يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر"[1]، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً، قال بعض العلماء: بالصبر، واليقين تنال الإمامة في الدين"[3]، فإن فساد العلماء هو فساد للناس، "فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العبَّاد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس"[4]، ولذلك يحذر الحافظ ابن كثير رحمه الله من علماء السوء، وعبَّاد الضلالة، فقال عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5]، "والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال، كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى"[6].

فعلى المحتسب أن يحتسب على العلماء، وينصحهم بعدم مخالفة الحق الذي يعلمونه، وأهمية نشر العلم وبذله، وعدم كتمانه؛ لأن الله سبحانه حذَّر من مخالفة الحق الذي علمه العالم إلى الهوى، "فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره، ولهذا قال مخاطبا للرسول ﷺ، والمراد الأمة: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ

= طلب العلم، وقد ذيل بأحكام الألباني: صحيح، رقم (٣٦٤١)، (٥/ ٤٨).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٣٧١).

(٢) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٣٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ١٣٨).

(٥) سورة التوبة، آية: ٣٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ١٣٨).

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾"[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[2]، قال ابن كثير رحمه الله: "وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم -يعني اليهود-، فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[3].

والاحتساب على العلماء، وتحذيرهم من اتباع سبيل الضلالة أمر واجب، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾[4]، "وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية، والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام"[5].

والمشروع في الاحتساب على العلماء، هو التلطف معهم، وإظهار وجه الحق، فيما أعجز بعضهم فهمه، أو تخلفوا عن تطبيقه وتحقيقه، ولكن بأسلوب مؤدب، فلا تعنيف، ولا تشهير، ولا تنقّص من مكانة هذا العالم وقيمته، أوتكبر عليه وعلى مكانته، ولا بأس من المجادلة، واستظهار الأدلة بالحسنى، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ

---

(١) سورة البقرة، آية:١٤٥، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٤٦٢).

(٢) سورة آل عمران، آية:١٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ١٨١)، والحديث في مسند الإمام أحمد، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وقد علق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رقم (٨٠٣٥)، (٢/ ٣٠٥).

(٤) سورة الرعد، آية:٣٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٤٦٧).

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، فقال: "يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ وهو ما أنزله عليه من الكتاب، والسنة، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها؛ ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة، وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق، ولين، وحسن خطاب"[2].

فيفهم من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله، أن يكون الاحتساب عامة ويدخل فيهم العلماء بالحكمة، فإن نفعت، وإلا انتقل المحتسب معه إلى الموعظة الحسنة؛ لعله يعود للحق، ويرجع للصواب، فإن نفعت، وإلا جادله بالتي هي أحسن، ويكون برفق ولين، وتأدب كما أسلفنا.

الصنف الثالث: الإحتساب على الولاة:

الولاة: جمع والٍ، وهو كل من ولي أمر أو قام به، وولي العهد وراث الملك، وولي المرأة من يلي من عقد النكاح عليها، ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه، وولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفالته[3].

والولاة : "هم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام"[4].

ويراد بالولاة عند ابن كثير رحمه الله: الأمراء والعلماء، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) سورة النحل، آية:١٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٦١٣).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وزملائه، ص١٠٥٨.

(٤) الفتاوى، لابن تيمية، (٢٨/ ١٧٠).

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني: العلماء. والظاهر -والله أعلم-أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء"[2].

وكما أنه رحمه الله اعتنى بأمر العلماء؛ لأنهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم، بالمعروف؛ لأنها من طاعة الله ورسوله، فكذلك الولاة أيضاً هم من أولي الأمر، الذين تجب طاعتهم بالمعروف؛ لأنها من طاعة الله ورسوله، فمن الأمور التي ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله، أن الحدود إذا رفعت للوالي، أو السلطان فيجب أن تُقام ولا تعطَّل، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، "إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان، فتقام، ولا تعطل، وكذا روي عن سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح رضي الله عنهم وقد جاء في الحديث: **(تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب)**"[4].

وكذلك من الأمور التي ذكرها ابن كثير رحمه الله للولاة، عدم اتخاذ أهل الذمة بطانة من دون المؤمنين، فقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[5]، "أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره، وقد روى البخاري رحمه الله، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان:بطانة تأمره**

---

(١) سورة النساء، آية:٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٣٤٥).

(٣) سورة النور، آية:٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٧-٨)، والحديث في سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد كتاب الحدود، باب العفو عن الحدود، وذيل بأحكام الشيخ الألباني: قال صحيح، رقم(٤٣٧٦)، (٢/ ٥٣٨).

(٥) سورة آل عمران، آية:١١٨.

بالخير، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء، وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله)[1]... قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن ها هنا غلاماً من أهل الحيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتباً؟ فقال:" قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين"[2]، ففي هذا الأثر مع هذه الآية، دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين، واطلاع على دواخل أمورهم، التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب"[3].

ويفهم من كلامه رحمه الله، أن الوالي يحتسب عليه إذا اتخذ الكفار له بطانة، وترك المؤمنين الصادقين، ولكن يكون الاحتساب عليه، بالطرق الشرعية، وتكون بالسر، ويبين له خطر ذلك على المسلمين، ويستخدم معه أسلوب اللين، وبالرفق، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4]، فقال: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة، واللين"[5].

خلاصة القول: في هذا المبحث قد بين الحافظ ابن كثير رحمه الله أصناف المحتسب عليهم، وهم عامة الناس، وكذلك العلماء، وبين طريقة الاحتساب عليهم أنها تكون بتأدب وتقدير لهم، وكذلك الاحتساب على الولاة ويكون بالمنهج الشرعي، فقد بين الطريقة المناسبة للاحتساب عليهم، وذلك برفق ولين، حتى يكون للاحتساب على هؤلاء ثمرة مرجوة بإذن الله عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب محاسبة الإمام عماله، رقم(٧١٩٨)، (٩/ ٩٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأدب، باب في اتخاذ كاتب نصراني، برقم(٢٦٣٩٢)، (٨/ ٤٧٠)، وقال الأستاذ الدكتور/ حكمت بن بشير بن ياسين: إسناده صحيح في كتابه: التفسير الصحيح (٢/ ٧٠)، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ١٠٦-١٠٧).

(٤) سورة طه، آية:٤٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٩٤).

المبحث الثاني: حقوق المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله:

أولاً: الذهاب إلى المحتسب عليه حيثما كان.

المقصود من ذلك: الذهاب إلى المحتسب عليه في أي مكان كان، ولا يجلس المحتسب في بيته أو مقر عمله، وينتظر مجيء الناس إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فعمَّ وخصَّ، فقال: **(يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله ما أملك لكم من الله شيئا، إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها)**"[2].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[3]، قال ابن كثير رحمه الله: "فقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: شمر عن ساق العزم، وأنذر الناس"[4]، فيفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أن الله جل جلاله أمر النبي ﷺ بأن ينذر الناس، فلا يكون إنذار الناس – غالباً- إلا إذا أتى أماكنهم، وهذا ما أكده الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره فقال: "صاح رسول الله ﷺ على أبي

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٦٧)، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، برقم (٥٢٢)، (١/ ١٣٣)، ومعنى سأَبُلُّها بِبلالِها: أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً والبِلال جمع بَلَل وقيل هو كل ما بَلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره، لسان العرب، لابن منظور، (١١ / ٦٣).

(٣) سورة المدَّثر، آية: ١-٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٢٦٢).

قبيس: (**يا آل عبد مناف إني نذير!**)، فجاءته قريش فحذرهم، وأنذرهم"[1]، وكذلك: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ"[2].

وقال الله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: تمرد وعتا وتجهرم على الله وعصاه"[4]، فبسبب أن فرعون تمرد وعتا، وتجهرم على الله، وعصاه أمر الله موسى وأخاه عليهما السلام، أن يذهبا إليه، ويأتياه في مكانه.

وإذا لم يتمكن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، من الذهاب إلى المحتسب عليهم، وحالت بينه وبينهم الحوائل فما الذي يمكن فعله ؟

وللجواب على هذا السؤال أقول: إن هناك العديد من الوسائط الحسبية، التي تدخل إلى منازل الناس في أي مكان في العالم دون إذن، أو واسطة متخطية الحواجز، بل وتكون في مقدور الناس، وهذه الوسائل عديدة، وخصوصاً في العصر الحاضر، ومنها:

وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية، وبرامج الحاسب الآلي، وغيرها، فعن طريق هذه الوسائل يمكن للمحتسب، أو المحتسبين، الذهاب إلى المحتسب عليهم في أي مكان، والسفر إليهم في بلدانهم، والاحتساب عليهم.

ثانياً: أن يقصد المحتسب عليه بالاحتساب:

من حق المحتسب عليه أن يقصد بالاحتساب، وتوصل له كلمة الإسلام،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٩٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٤٦).

(٣) سورة طه، آية:٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٩٤)، ومعنى تجهرم: هذا الحرف " تجهرم " حرف غريب ، لم أجده في شيء من المعاجم ، و لا في المصادر الأخرى . و أنا أستسيغه جدا بذوقي العربي ، لا أجدني نافرا منه ، و يخيل إلي أنه مولد من مجموع مادتين ، كأنه من مادتي : "جهر " و "حرم"، كأنه يراد به : تجاهر بجرمه . كما مزجوا من مادتين أو أكثر "حمدل" و "حسبل" و "بسمل" و "هلل" و "حوقل" و نحو ذلك. ا.هـ حاشية عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، للعلامة المحقق: أحمد شاكر، (١/ ٦٠)، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٦هـ.

ويوضح له أمور الإيمان، ومسائل التوحيد، ولوازم الشريعة، وكمالات الأخلاق، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وقد كان يحوطه، وينصره، ويقوم في صفه، ويحبه حبًّا شديداً طبعيًّا لا شرعيًّا، فلما حضرته الوفاة، وحان أجله، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان، والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة"[2].

ويفهم مما ذكره ابن كثير رحمه الله، أن النبي ﷺ قصد عمه بهذا الاحتساب بأن ينهاه عن الشرك بالله، ويأمره بالتوحيد الخالص، والدخول في الإسلام، فكذلك المحتسب إذا علم بمرض أحد المخالفين لأمر الله وجب عليه زيارته، وأن يقصده بالاحتساب؛ لعل الله أن يجعله سبب خير في هدايته.

وقال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ولهذا قال لهم لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى قال: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾"[4].

---

(١) سورة القصص، آية:٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٤٦).

(٣) سورة الأعراف، آية:٨٠-٨١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٤٤٥).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم، لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول"[2]، فيفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أن المحتسب يجب عليه أن يقصد المحتسب عليه بالاحتساب؛ حتى يقيم عليه الحجة أمام الله، ولا يتعذر؛ لأنه لم يحتسب عليه ويبين له الحق.

ثالثاً: الحرص على المحتسب عليه رجاء هدايته واستقامته على الحق:

من حق المحتسب عليه على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يوليه اهتماماً، رجاء هدايته، واستقامته على الحق، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فقال: "﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي، والأخروي إليكم"[4].

ويفهم من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله، أن المحتسب عليه من حقه أن يحرص على هدايته، وعلى استقامته؛ لأن المتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد أنه كان شديد الحرص على هداية الخلق، وعلى استقامتهم، فلذلك ينبغي تنبيه المحتسبين أن يكونوا شديدي الحرص على هداية الناس، مهما بدر منهم من تحدٍّ وعناد، ومناصبة بالعداء القولي أو الفعلي، تجاه الاحتساب أو المحتسبين، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، في حرص النبي ﷺ على هداية عمه "...فقال رسول الله ﷺ: **(يا عم، قل: لا إله إلا الله،**

---

(١) سورة القصص، آية:٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٤١).

(٣) سورة التوبة، آية:١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٢٤١).

كلمة أشهد لك بها عند الله)، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: **(أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)**، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾[1]"[2].

رابعاً: اللين والعفو والإحسان للمحتسب عليه:

ينبغي للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يكون ليناً مع المحتسب عليه، محسناً إليه، وأن يقابل شدته بالحلم، ويقابل طيشه وإساءته بالعفو، وعدم الرد بالمثل، فهذا من أعظم حقوق المحتسب عليه.

قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو، والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين"[4].

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[5]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخاطباً رسوله ﷺ، ممتنًّا عليه، وعلى المؤمنين، فيما

---

(١) سورة التوبة، آية:١١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٤٦)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، برقم (١٣٦٠)، (٢/ ١١٩).

(٣) سورة طه، آية:٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٩٤).

(٥) سورة آل عمران، آية:١٥٩.

آلان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أي: أي شيء جعلك لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم...ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به ها هنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وآلان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم"[1].

ويفهم من كلامه رحمه الله، أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، يجب عليه أن يكون ليناً على المحتسب عليه في كلامه معه، وأن لا يكون سيئ الكلام معه؛ لأن المحتسب عليه لن يقبل منك إذا كنت فظاً غليظ القلب، بل القبول يأتي إذا كان الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ليناً يلتمس المحتسب عليه منه الرحمة به.

خامساً: عدم التشهير بالمحتسب عليه:

من حقوق المحتسب عليه التي يعتدّ بها لدى المحتسبين، احترامه وحفظ أسراره الشخصية، وعدم البوح بها، أو إشاعتها أمام الناس، أو إطلاع الآخرين على عوراته، فهذا من التشهير، والفضيحة التي تأباها النفوس، وتنفر منها الطباع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بالحد، وفي الآخرة بالعذاب، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فردوا الأمور إليه ترشدوا"[3]، وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله رواية عن الإمام أحمد رحمه الله: "عن النبي ﷺ قال: **(لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم،**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ١٤٨).

(٢) سورة النور، آية:١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٩).

فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته)[1]، وكان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على شعور المحتسَب عليهم، وعدم جرحهم أو التعريض بهم، أو فضحهم أمام الآخرين، وأبلغ ما كان يقوله ﷺ، ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله: "في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **(ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم، وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[2].

ويتأكد عدم التشهير بالمحتسب عليهم في واقعنا المعاصر، وخصوصاً في وجود وسائل التقنية السريعة، والمنتشرة في كل مكان سواء في البيوت، أو في العمل، وما إلى ذلك، والمقصود بها: وسائل الإعلام، والاتصال، ووسيلة الإنترنت، وغير ذلك من الوسائل المتوافرة بين أيدي الناس، والتي تعدُّ مجالاً خصباً للتشهير بأي أحد من الناس، ونقل سريع لأي معلومة، وقد تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبني، مما يُحدث

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٩-٣٠)، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، في باقي مسند الأنصار، من حديث ثوبان رضي الله عنه، برقم(٢٢٤٥٥)، (٥/ ٢٧٩)، وقد ذيل الحديث بأحكام الشيخ شعيب الأرناؤوط فقال عنه: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

(٢) المرجع السابق، (٣ / ١٦٩)، هذا لفظ حديث أنس بن مالك: رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم (٥٠٦٣)، (٧/ ٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن نفسه تاقت إليه، برقم (٣٤٦٩)، (٤/ ١٢٩)، أما حديث عائشة فلفظه: صنع النبي ﷺ شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية"، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، برقم (٧٣٠١)، (٩/ ١٢٠).

الفرقة والتمزق بين الناس، ويورث الضغينة والأحقاد، والتشوف للانتقام.

خلاصة القول: في هذا المبحث بيَّن الحافظ ابن كثير رحمه الله حقوق المحتسَب عليهم على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فالمحتسَب عليه من حقه الذهاب إليه حيثما كان، اقتداء بالنبي ﷺ عندما كان يزور كفار قريش في أماكنهم؛ ليأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن الشرك بالله عز وجل، ومن حقه كذلك الذي قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله أن يقصد المحتسب عليه بالاحتساب، وتوصل له كلمة الإسلام، وتوضح له أمور الإيمان ومسائل التوحيد، ولوازم الشريعة وكمالات الأخلاق، وكذلك قال رحمه الله أن من حقه الحرص عليه رجاء هدايته واستقامته على الحق، وأن يتعامل معه بالعفو عن زلته، وبالإحسان إليه، وقد أكد رحمه الله على أن لا يشهَّر به، بل يُحترم وتحفظ أسراره الشخصية، ولا تشاع للناس؛ رغبةً في هدايته واستصلاحه.

الفصل الثالث:

المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه في تفسير ابن كثير رحمه الله.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مجالات إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: شروط إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله.

تقديم:

يجدر بي قبل التحدث عن المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه، أن أعرِّف المحتسب فيه، أو ما يجري فيه الاحتساب، فقد عرفه الإمام الغزالي رحمه الله بقوله: "كل منكر موجود في الحال، ظاهر للمحتسب، بغير تجسس معلوم، كونه منكراً بغير اجتهاد"(١).

المبحث الأول: مجالات إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله:

١ -مجال العقيدة:

العقيدة في اللغة: شدة وثوق الأمر، وصلابته(٢).

وفي الاصطلاح: هي الأمور والجوانب التي يطلب من المسلم الإيمان بها، وقبل كل شيء إيماناً صادقاً لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة أو بدعة(٣).

اهتم الحافظ ابن كثير رحمه الله بالعقيدة كثيراً، وذلك يرجع لأمور عدة منها:

أ- أن توحيد الله، وعبادته، وعدم الإشراك به، هو الغاية من خلق العباد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٤)، قال ابن كثير رحمه الله: "خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب"(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾(٦)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٢/ ٣٥٢).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٨٦)، (مادة:عقد).

(٣) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، ص٩، ط١، دار الوطن، الرياض،١٤١٢ه.

(٤) سورة الذاريات، آية:٥٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٤٢٥).

(٦) سورة ص، آية:٢٧.

"ما خلق الخلق عبثاً، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع، ويعذب الكافر"(١)، فمهمة الرسل عليهم السلام وأساس احتسابهم هو توحيد الله عزَّ وجل، والتحذير من الإشراك به، وعبادة ماسواه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾(٢)، قال ابن كثير رحمه الله: "أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله"(٣).

ب- أن العقيدة هي أصل الدين وأساسه، وأن قبول الأعمال مرتبط بالعقيدة والتوحيد، فلا يقبل الله عملاً أشرك صاحبه مع الله غيره في عبادته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤)،وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٥)،وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٦)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له"(٧)، فالإنسان مهما عمل من عمل، فلا يكون مقبولا عند الله، حتى يكون خالصاً من الشرك، وصاحبه على عقيدة صحيحة سالمة من الشرك بالله، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٨)، قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٦٣).

(٢) سورة الرعد، آية:١٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٤٤٧).

(٤) سورة الأنعام، آية:٨٨.

(٥) سورة الزُّمَر، آية:٦٥.

(٦) سورة الكهف، آية:١١٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٠٥).

(٨) سورة الفرقان، آية:٢٣.

يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم -شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً، وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل"[1].

ت- أثر العقيدة على التصور والفهم والإدراك والسلوك، فالاعتقاد الصحيح يؤثر على فهم النصوص الشرعية، وإدراكها ومعرفة حقائقها ودلالاتها؛ لأن الاعتقاد أساس الفهم، فكلما كان الاعتقاد سليماً، كان منهج فهم النصوص وتلقيها وإدراكها والاستدلال بها صحيحاً، وموافقاً للحق الذي أراده الله، وأنزله على رسوله ﷺ، فانحراف العقيدة، وفسادها يؤثر على سلامة الفهم، وصحة القصد والعمل، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]، حيث قال: "وقال محمد بن إسحاق: هم المنافقون، قلت: ولا منافاة بين المشركين، والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح، والقصد إلى العمل الصالح، ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح، لو فرض أن لهم فهماً، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم"[3].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[4]، قال ابن كثير رحمه الله: "يخبرنا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٠٣).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٤).

(٤) سورة القمر، آية: ٤٧.

تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك، والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق"[1].

ومن هنا تبرز أهمية هذا المجال –العقيدة– للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والذي يمكن إجماله في أمرين كبيرين:

الأول: تقرير العقيدة الصحيحة، والدعوة إليها، والأمر بها، وإبراز محاسنها وآثارها، ومدى حاجة الناس إليها، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من منهج صحيح في عقيدته، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشاً، أي: مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات"[2].

الثاني: إبطال العقائد التي تناقض العقيدة الصحيحة، أو توهنها أو تشكك فيها، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3]، حيث قال: "يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سلمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك، وحيرة، وضلال، وسعر، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٤٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٩٤).

(٣) سورة النساء، الآيتان:١٥٧-١٥٨.

﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾أي منيع الجناب لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه ﴿حَكِيمًا﴾أي: في جميع ما يقدره، ويقضيه من الأمور التي يخلقها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم"[1].

ومن الأفعال الشركية التي يجب على المحتسب إنكارها: دعاء الأصنام والاستغاثة بها، وسؤالهم النفع أو الضر أو الذبح لها من دون الله ، وقد أكد ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[2]، حيث قال: "﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾أي: يتبرؤون منكم"[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4]، قال رحمه الله: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[5]، أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها"[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٤٤٩).

(٢) سورة فاطر، آية:١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٥٤١)

(٤) سورة الأنعام، آية:١٦٢.

(٥) سورة الكوثر، آية:٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٣٨١).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أنه لا يوجد من هو أضل ممن يعبد الأصنام ويدعوها من دون الله عز وجل وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾[1]، حيث قال: " لا أضل ممن يدعو أصناماً، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم"[2].

وقد أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله خطورة الشرك بالله عز وجل وأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] حيث قال: (يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً،...وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ أي: فيعبد معه غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[4]، ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدداً: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا

---

(١) سورة الأحقاف، آية:٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٢٧٥)

(٣) سورة المائدة، آية:٧٢-٧٣.

(٤) سورة النساء، آية:١١٦.

﴿يَقُولُونَ﴾ أي: من هذا الافتراء والكذب ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة من الأغلال والنكال)[1].

ويفهم من كلامه رحمه الله أن الشرك بالله كفر مخرج من الملة ومنكر عظيم، وأن الله لايغفر للمشركين، وهذا المنكر يكون من المجالات التي ينكرها المحتسب.

٢-مجال العبادة:

العبادة في اللغة: تعرف بأنها :الطاعة، والخضوع، والتذلل[2].

وأما في الاصطلاح: فيعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[3].

ومفهوم العبادة عند ابن كثير رحمه الله، كمال الحب والخضوع والخوف، حيث قال رحمه الله: "العبادة في اللغة من الذّلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"[4].

والعبادة بهذا المفهوم الواسع، لا تختص بأمر معين من أمور الإسلام العديدة، ولا تنحصر في نوعية محددة معينة من أنواع العبادة، بل ينتظم فيها كل ما أمر الإسلام الحنيف به من سائر العبادات، ووجوه الطاعات، والقربات الظاهرة والباطنة، والمتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد العديد من الآيات الكريمة التي حثت على العبادة، وأمرت بها وأوجبتها، ورتبت الجزاء الأوفى لمن أداها، وقام بها، أو الخسران لمن ضيعها، ولم يقم بحقها، ومن العبادات التي أشار إليها ابن كثير رحمه الله الصلاة وهي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ١٥٧)

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس:(٤/ ٢٠٥) (مادة:عبد).

(٣) العبودية، لشيخ الاسلام ابن تيمية، ص٣٨، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ه.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٣٤).

ركن من أركان الإسلام، وينكر على من تركها أو تساهل بها:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] والصلاة كما عرفها الحافظ ابن كثير رحمه الله: "الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة"[2]، وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3]، قال ابن كثير رحمه الله: "وهي عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد"[4].

ويجب على المسلم أن يحافظ عليها، وأن يقيمها كما أمره الله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[5]، وإقامتها "المحافظة على وقتها وحدودها، وركوعها، وخشوعها، وسجودها"[6]، وقد أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله، إلى أهمية صلاة الجماعة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[7]،فقال رحمه الله: "وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة"[8]، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[9]،

---

(١) سورة البقرة، آية:٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٦٩).

(٣) سورة مريم، آية:٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٤٣).

(٥) سورة إبراهيم، آية:٣١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٥١٠).

(٧) سورة النساء، آية:١٠٢.

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٤٠٠).

(٩) سورة البقرة، آية:٤٣.

حيث قال: "أي: وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخص ذلك، وأكمله الصلاة، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة"(١).

ويفهم من كلامه رحمه الله، أن العبادة بمفهومها الواسع، وشموليتها الكبيرة، وتطرقها لجوانب كثيرة في حياة المسلم تعدُّ مجالاً عظيماً، ومهماً من مجالات النهي عن المنكر، والذي يمكن أن نبرزه هنا المسائل التالية:

الأول: الأمر بالعبادة الخالصة لله وحده، مبتعدة عن الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال: "إن كان العمل موافقا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله، فهو أيضا مردود على فاعله، وهذا حال المنافقين والمرائين"(٢).

الثاني: دلالة الناس إلى شروط العبادة الصحيحة ولوازمها، وما ينبغي في حق كل عبادة من العبادات، وأعظم ذلك: الإخلاص والمتابعة، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال: "وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ"(٣).

الثالث: التحذير من الاستهانة بأمر العبادة، وذلك بعدم الاهتمام بها، أو عدم تأديتها على وجهها المشروع، وقد أكد ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾(٤)، حيث قال: "﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأنها عماد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٢٤٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٣٨٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٠٥).

(٤) سورة مريم، آية:٥٩.

الدين وقوامه، وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا، وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًّا، أي: خسراً يوم القيامة"[1].

ومن العبادات التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، وينكر على من تركها، وقد سميت بذلك؛ لأنها تطهّره من الحرام، كما أكد ذلك ابن كثير رحمه الله فقال: "زكاة المال إنما سميت زكاة؛ لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات"[2]، والزكاة واجبة على أهلها، وهي أحد أركان الإسلام، وأشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، حيث قال: "أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصا برسول الله ﷺ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة رضي الله عنهم، وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق: والله لو منعوني عقالاً وفي رواية: عناقاً يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه"[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ١٦٤)

(٣) سورة التوبة، آية:١٠٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٢٠٧)، والأثر رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم(٦٨٥٥)، (٦/ ٢٦٥٧).

ويفهم من كلامه رحمه الله، أنه يحتسب على من منع الزكاة، وينكر عليه، فمنع الزكاة مخرج من دائرة الإسلام، وموجب لغضب الله على العبد.

ومن العبادات التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله، الصوم وهو ركن من أركان الإسلام، وينكر على التارك له المضيع لحق الله عز وجل، ويعرف بأنه: الإمساك عن الطعام والشراب، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، حيث قال: "الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل"(١).

فإذا جاء شهر رمضان، وجب صومه ويحتسب على من لم يصمه، وخصوصا لمن كان صحيحا في بدنه، أو ليس من أهل الأعذار بتركه، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٢)، حيث قال: "هذا إيجاب على من شهد استهلال الشهر -أي كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان، وهو صحيح في بدنه -أن يصوم لا محالة"(٣).

ومن العبادات التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله الحج، فقد بين فضله ومنزلته، وطلب المبادرة إليه، فذكر رحمه الله أن الحج واجب على المكلف في العمر مرة واحدة، وهو أحد أركان الإسلام، يقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٤)،حيث قال: "هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وهو الأظهر، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٤٩٧).

(٢) سورة البقرة، آية:١٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٥٠٣).

(٤) آل عمران:٩٧.

مرة واحدة بالنص والإجماع، قال الإمام أحمد رحمه الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **(أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا)**، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: **(لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم)**، ثم قال: **(ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)**[1]، وإذا أحرم بالحج أو العمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[2]،حيث قال: "أمر بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما"[3]، ويفهم من كلامه رحمه الله أنه من لم يتم الحج أو العمرة بدون عذر فإنه يحتسب عليه.

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾أي: من أحرم بالحج أو العمرة، فليجتنب الرفث، وهو الجماع، وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك، وكذا التكلم به بحضرة النساء،...وقوله: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ قال: هي المعاصي،...وقوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾أي: المخاصمة في الحج"[5]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٨١)، والحديث روام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧)، (٢/ ٩٧٥).

(٢) سورة البقرة، آية:١٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٥٣٠).

(٤) سورة البقرة، آية:١٩٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥).

﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه"[2].

ويفهم من كلامه رحمه الله أن الرفث في الحج أو العمرة منكر، وهذا ينكر على من يقع في الرفث في الحج، أو تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل، وكذلك من يكثر من المعاصي، أو يكثر من المخاصمة في الحج، أو من جحد فريضة الحج، فإن هذا مجالٌ من مجالات العبادة التي ينكر فيها على من جحدها أو تركها أو ضيعها أو لم يؤدها على الوجه المطلوب.

٣-مجال المعاملات:

المعاملات في اللغة: جمع معاملة، وهي مفاعلة من (عمل)، والعمل: المهنة، والفعل، والجمع: أعمال، عمل عملاً، وأعمله غيره، واستعمله، وعامله: تصرف معه في بيع، ونحوه، وتعاملا، عامل كل منهما الآخر، والعامل: هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله، وملكه، وعمله[3]، والعمل: يستعمل في الأعمال الصالحة، والسيئة[4].

واصطلاحاً: الأحكام الشرعية المنظمة لتعامل الناس في الدنيا:[5].

والأصل في المعاملات الإباحة، وعدم الحظر، فلا يحظر منها إلا ماحظره الله سبحانه وتعالى، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف شاؤوا، مالم تحرمه الشريعة، بخلاف العبادات التي أوجبها الله أو أحبها، فالأصل فيها الحظر، فلا يثبت الأمر بها

---

(١) سورة آل عمران، آية:٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٨٤)

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور:(٢/ ٨٨٦)، (مادة عمل).

(٤) المفردات في غريب القرآن،للراغب الأصفهاني، ص٣٤٨، (مادة:عمل).

(٥) انظر: معجم لغة الفقهاء، د.محمد قلعجي وزميله، ص٣٤٨، ط٢، دار النفائس، بيروت ١٤٠٨هـ.

إلا بالشرع[1]، وقد أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله، هذا المعنى في تفسيره كثيراً من هذه الأحكام نذكر منها:

أ- الأمر بكتابة البيع إذا كان دينا، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾[2]، حيث قال: "هذا إرشاد منه تعالى، لعباده المؤمنين، إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها؛ ليكون ذلك أحفظ لمقدارها، وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها...فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب كما ذهب بعضهم"[3].

ب- إنظار المعسر حتى يتيسر حاله، قاله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي"[5].

ث- النهي عن أكل الربا، وأن الله سبحانه وتعالى يمحق المرابي، ويَحْرِمه بركة ماله، قال الله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[6]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا، أي: يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا، ويعاقبه

---

(١) انظر: الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٩/ ١٦-١٨).

(٢) سورة البقرة، آية:٢٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧٢٢).

(٤) سورة البقرة، آية:٢٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧١٧).

(٦) سورة البقرة، آية:٢٧٦.

عليه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]،وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾أي: لا يحب كفور القلب أثيم القول، والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل"[2].

ج- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[3]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل، أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية، كأنواع الربا، والقمار، وما جرى مجرى ذلك؛ من سائر صنوف الحيل، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا"[4].

وكذلك إشارته رحمه الله، إلى ختام آية الربا بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فالمرابي جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم، يأكل أموال الناس بالباطل، فمما لا شك فيه أن المعاملات تعدُّ مجالاً مهماً للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالناس يحتاجون

---

(١) سورة المائدة، آية:١٠٠، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧١٣)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧١٥-٧١٦).

(٣) سورة النساء، آية:٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٢٦٨).

إلى من يوجههم، ويدلهم على الخير، ويرشدهم إلى الأمر بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وإن لم يظهروا ذلك ويعلنوه.

٤-مجال الأخلاق والآداب العامة:

الأخلاق في اللغة: "الأخلاق جمع خلق، وأصلها خَلَق فالخاء واللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء والآخر ملامسة الشيء...قال: ومن الأول الخُلُق، وهو السجيَّة؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه، ومن الثاني صخرة خَلْفاء أي ملساء"(١).

في الاصطلاح: فقد عرفه الإمام الغزالي رحمه الله بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة، ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"(٢).

وقد اعتنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسيره بالأخلاق كثيراً، ويظهر ذلك في حرصه على توجيه الأمة، وعلى تربيتها على الأخلاق الفاضلة، وغرس القيم النبيلة، فهو يوجه دائماً إلى تزكية النفس بطاعة الله، وتطهيرها من الأخلاق الدنيئة، وأن يحسن الإنسان العمل في هذه الدنيا؛ لأن جزاءه الإحسان في الدار الآخرة، والناس عند ابن كثير رحمه الله قسمان: "فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته، ولا ما يحرجه، وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده"(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ٢١٣).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣/ ٥٣)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٥٣٢).

ويُذكِّر رحمه الله بسمات عباد الرحمن وصفاتهم فهم: "إذا سفه عليهم الجهال بالسيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما"(١).

والحافظ ابن كثير رحمه الله حينما يُرغِّب، ويحث على الإعراض عن الجاهلين باحتمال الظلم والاعتداء، وعدم المقابلة بالمثل، بل بالعفو والصفح، فهو رحمه الله، يستثني من هذه القاعدة عدم الإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله، وعدم الصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو على المسلمين حرب(٢).

وكذلك حينما ذكر أن من صفات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هوناً، أي بسكينة ووقار، من غير استكبار ولا بطر، بين رحمه الله أنه "ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر، أنه رأى شاباً يمشي رويداً، فقال: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرة، وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد بالهون هاهنا السكينة والوقار"(٣)، ويضع رحمه الله قاعدة في مخالطة الناس، ويسميها الترياق النافع، في مخالطة الناس وهي "الإحسان إلى من يسيء؛ ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة"(٤).

وقد تطرق الحافظ ابن كثير رحمه الله في كلامه عن الأخلاق، أن لها سمات تربوية فمنها:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٥٣٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ١٢٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٤٩٢).

أ- الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر:

من سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير رحمه الله، أن الأخلاق مصدرها من عند الله تعالى، سواء أكانت هذه الأخلاق مما أثبتها الشارع ابتداء، أم كانت من الأخلاق التي أقرها ورضيها، مما تعارف عليها الناس قبل الإسلام، فالله سبحانه يأمر عباده أن يتصفوا ويلتزموا ويتحلوا بالأخلاق الفضيلة، وينهاهم عن الأخلاق الرذيلة، كما قال الله تعالى بعدما أمر بجملة من الأخلاق النبيلة، ونهى سبحانه عن بعض الأخلاق الرذيلة: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة، مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس"[2]، وكما قال سبحانه بعد أمره ببعض الأخلاق الحميدة، ونهيه عن بعض الأخلاق الرديئة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق، والصفات الرذيلة"[4]، وهكذا فالأخلاق الإسلامية ربانية المصدر؛ لأن الله هو الذي شرعها وأقرها، وأمر عباده بالالتزام بها، فهو سبحانه "يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان...، ويأمر بصلة الأرحام"[5]، كما "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات...، وترك المنكرات...، وينهاهم عن التناصر على

---

(١) سورة الإسراء، آية:٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٧٧).

(٣) سورة النور، آية:٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٥٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٥٩٥).

الباطل، والتعاون على الإثم والمحارم"[1].

وهو سبحانه الذي يوفق عباده للخير، ويزكي نفوسهم للبر، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: لولا هو يرزق من يشاء التوبة، والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها، وفجورها، ودسها، وما فيها من أخلاق رديئة، كل بحسبه، لما حصل أحد لنفسه زكاة، ولا خيراً"[3].

ب- موافقة الأخلاق للفطرة:

النفوس تميل إلى محبة الخير، والفضيلة، كما أنها تنفر من الأخلاق الذميمة، وهذا يعني موافقتها للفطرة التي فطر الناس عليها، فهو سبحانه خلق النفوس "سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] وقال رسول الله ﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه)**[5].

كما أن الله مكن للنفس الإنسانية من معرفة أصول الأخلاق من الخير والشر، وهيأها لقبول الحق، وسلوك طريق الخير والفضيلة، كما قال تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[6]، ومعنى ذلك كما قال ابن كثير رحمه الله: "أرشدها إلى فجورها وتقواها، أي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ١٢).

(٢) سورة النور، آية:٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٣٠).

(٤) سورة الروم، آية:٣٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(٨/ ٤١١)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب إذا أسلم الصبي فمات، برقم(١٣٥٨)، (٢/ ١١٨).

(٦) سورة الشمس، آية:٨.

بين لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس رضي الله عنه: فألهمها فجورها وتقواها بين لها الخير والشر"[1].

ج- الأخلاق فطرية، وجبلية من وجه، ومكتسبة من وجه آخر:

الأخلاق الإسلامية فطرية في الإنسان، بمعنى أنه مجبول عليها، فهي فطرية، وجبلية من وجه، ومكتسبة من وجه آخر، فكان من دعائه ﷺ: **(اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وجنبني أسوأ الأعمال، وأسوأ الأخلاق، لا يجنبني عنها إلا أنت)**[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة"[4]، ..ويمثل ابن كثير رحمه الله على بعض الأخلاق الجبلية بالشجاعة والجبن، فيقول: "إن الشجاعة والجبن غرائز، تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف، ويفر الجبان من أمه"[5].

فالحاصل أن الأخلاق فطرية ومجبول عليها الإنسان من وجه، وهي من وجه آخر مكتسبة، يكتسبها الإنسان بمجاهدة نفسه وتزكيتها، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[6]، قال ابن كثير رحمه الله: "قد أفلح من زكى نفسه، أي: بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل"[7]، وكما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٤١١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة المسافر، رقم(١٨١٢)، (٢/ ١٨٥).

(٣) سورة المعارج، آية:١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٢٢٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٦٨٣).

(٦) سورة الشمس، آية:٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٤١٢).

﴿تَزَكَّىٰ﴾[1]،قال ابن كثير رحمه الله: "أي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله ﷺ"[2].

وقد نهى الله تعالى عن الأخلاق السيئة، ومنها احتقار الناس والسخرية بهم، وانتقاصهم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، حيث قال: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**الكبر بطر الحق وغمص الناس**)[4] ويروى: (**وغمط الناس**)، والمراد من ذلك: احتقارهم، واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله، وأحب إليه من الساخر منه، المحتقر له؛ فنص على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء، وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾أي: لا تلمزوا الناس، والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون، أي: يحتقر الناس، ويهمزهم طاعناً عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال، وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها"[5].

ومن الأخلاق السيئة فعل الزنا، أو القرب منه، فقد أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله، ذلك المعنى في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[6]،

---

(١) سورة الأعلى، آية:١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٣٨١).

(٣) سورة الحُجُرات، آية:١١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم(٢٧٥)، (١/ ٦٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٣٧٦).

(٦) سورة الإسراء، آية:٣٢.

حيث قال: "يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا، وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه، ودواعيه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ أي: ذنباً عظيماً ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً ومسلكاً، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: **(ادنه)**، فدنا منه قريباً فقال: **(اجلس)**، فجلس، قال: **(أتحبه لأمك؟)** قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**، قال: **(أفتحبه لابنتك)**؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)**، قال: **(أتحبه لأختك)**؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)**، قال: **(أفتحبه لعمتك)**؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)** قال: **(أفتحبه لخالتك)**؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)** قال: فوضع يده عليه وقال: **(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)**[1].

ومن الأخلاق السيئة البخل، أو الدعوة إليه، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2]، حيث قال: "يقول تعالى ذامًّا الذين يبخلون بأموالهم، أن ينفقوها فيما أمرهم الله به -من بر الوالدين، والإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٧٢)، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، باب أبي أمامة الباهلي، برقم(٢٢٢٦٥)، (٥/ ٢٥٦)، وقد ذيل الحديث بحكم الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) سورة النساء، آية:٣٧.

الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم من الأرقاء -ولا يدفعون حق الله فيها، ويأمرون الناس بالبخل أيضا"[1].

فالواجب إذًا على الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، أن يتنبَّهوا إلى هذا المجال المهم-الأخلاق- وأن يولوا مجال الأخلاق عنايتهم ورعايتهم؛ ولا سيما في هذه الأزمنة والعصور التي فيها عوامل كثيرة، وأسباب عديدة، مهدت إلى شيوع كثير من الأخلاق الفاسدة، والمسالك السيئة، الأمر الذي أدى إلى ظهور الرذيلة، وتواري الفضيلة، وفشوّ عادات وظواهر غير حميدة، سواء أكان على مستوى الأشخاص، أم المجتمع بأكمله، كالتبرج والسفور والاختلاط، وغير ذلك من الأخلاق والمسالك غير اللائقة بالمسلم الحق، أو ما يحصل عند بعض الشباب والفتيات، من لهث وراء ما يسمى بالموضة، والتقليد الأعمى لغير المسلمين في أخلاقهم وأعيادهم وتصرفاتهم اليومية، فكل ذلك وأمثاله أقوى دليل على تردي الأخلاق، وانحطاطها وفسادها، وهذا مما يضاعف من مسؤولية وواجب الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، إلى التصدي لتلك التيارات الجارفة، والمسالك الخطيرة، وتبيان خطرها، والوقوف في وجهها، وتوضيح مفاسدها، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من خلق حسن وأدب كريم.

ففي نهاية هذا المبحث أقول: إن الحافظ ابن كثير رحمه الله بيَّن لنا مجالات الإنكار التي ينكرها المحتسب، فذكر عدة مجالات للمحتسب أن ينكرها وهي مجال العقيدة، وبيَّن عِظَم الشرك بالله عز وجل، وكذلك بيَّن لنا خطورة الوقوع فيه، وأن الله لا يغفر لمن أشرك به شيئاً، وذكر مجال العبادة، وأنه من المجالات المهمة التي ينكرها المحتسب،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٣٠٢).

فبيَّن أنواع هذه العبادة، وهي أركان الإسلام، ومنها الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وذكر مجال المعاملات، فبيَّن أنواعاً من أحكامها، ومنها: الأمر بكتابة البيع إذا كان ديناً، وإنظار المعسر حتى يتيسر له، والنهي عن أكل الربا، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وبعد ذلك ذكر مجال الأخلاق والآداب العامة، وقد بيَّن فيها سمات هذه الأخلاق، وذكر أنواعاً من الأخلاق التي ينكرها المحتسب، منها: احتقار الناس والسخرية بهم، ومنها: فعل الزنا أو القرب منه، ومنها: البخل أو الدعوة إليه.

المبحث الثاني: شروط إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله:

الشرط في اللغة: العلامة، وقيل: ما لا يتم الشيء إلا به، ولا يكون داخلا في حقيقته[1].

الشرط في الاصطلاح: تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا عن ماهيته، ولا يكون مؤثرا في وجوده، وقيل: الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه.[2]

إنَّ لإنكار المنكر شروطاً قد ذكرها علماء الحسبة، يجب على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يعرفها ويراعيها، وقد أكد على معناها الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره، وهي:

١- كونه منكراً:

أن يكون منكراً حذر الشارع من الوقوع فيه، سواء أكان صغيراً أم كبيراً، فلفظ المنكر يشمل الصغير والكبير، ويشمل كل معصية، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"[4].

---

(١) المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس، (١ / ٤٧٩).

(٢) التعريفات، للجرجاني، (١ / ١٦٦).

(٣) سورة الزُّمَر، آية:٦٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ١١٣).

ومما يفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أن المشركين ما قدروا الله حق قدره؛ وذلك بسبب شركهم بالله، فهذا منكر واضح، تعالى الله عما يفعلون علواً كبيراً.

وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولم يقل: أكثر عملا بل ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط"[2]، ويفهم من ذلك، إذا كان العمل مخالفاً لسنة النبي ﷺ، فإنه منكر واضح؛ بسبب مخالفته لهدي الرسول ﷺ.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[3]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ينهى تعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر، الذي لا يدري معه المصلي ما يقول"[4]، فشرب الخمر منكر يحتسب على شاربه.

٢- أن يكون المنكر موجوداً في الحال:

قال الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[5]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام وصاحبه وهو الخضر، أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا، واشترط عليه ألا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه، فركبا في السفينة، فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولججت أي: دخلت اللجَّة، قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها ثم رقعها، فلم يملك موسى ﷺ نفسه أن قال منكراً عليه:

---

(١) سورة هود، آية:٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٠٨).

(٣) سورة النساء، آية:٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٣٠٨).

(٥) سورة الكهف، آية:٧١.

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ قال مجاهد: منكراً"[1].

وقال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿فَانطَلَقَا﴾ أي: بعد ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى، وأنه عمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم فقتله،...فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ أي: صغيرة لم تعمل الحنث ولا حملت إثما بعد فقتلته؟! ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير مستند لقتله ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي: ظاهر النكارة"[3].

ويفهم مما سبق أن موسى عليه السلام، لم ينكر على الخضر إلا بعد وجود المنكر أمامه، فهو لم ينكر قبل حدوثه، بل أنكر بعد رؤيته للمنكر ووجوده في الحال، وكذلك الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، يكون إنكارهم للمنكر إذا وجد المنكر في الحال.

٣-أن يكون ظاهراً بغير تجسس:

فكل من ستر معصيته في بيته، وأغلق عليه بابه، لا يجوز أن يُتجسس عليه، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن ذلك، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى ناهياً عباده

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ١٨٢)

(٢) سورة الكهف، آية: ٧٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ١٨٣).

(٤) سورة الحُجُرات، آية: ١٢.

المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة، والتخون للأهل، والأقارب، والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثيراً منه احتياطاً، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: ولا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملا...وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا**[1]**، وكونوا عباد الله إخوانا)**"[2]، وقوله: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾"أي: على بعضكم بعضا، والتجسس غالبا يطلق في الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير، كما قال تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾[3]، وقد يستعمل كل منهما في الشر، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)**[4]، وقال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء، والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمَّع على أبوابهم"[5].

---

(١) ولا تدابروا: (قال الخطابي: لا تتهاجروا فيهجر أحدكم أخاه مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين يراه)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، (١٠ / ٤٨٢)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٣٧٧)، والحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر ، برقم (٦٠٦٤)، (٨/ ٢٣).

(٣) سورة يوسف، آية:٨٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر، برقم(٦٠٦٤)، (٨/ ٢٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٣٧٩).

ومما يفهم من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله، أن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، إذا أراد إنكار المنكر، لابد أن يكون هذا المنكر ظاهراً له، وليس ظني وغير متأكد منه، بل يكون ظاهراً دون تجسس.

٤-كون المنكر معلوماً بغير اجتهاد:

فكل ما هو محل اجتهاد، سائغ بين أهل العلم، فلا إنكار فيه، والاجتهاد قد يكون في نصوص ظنية الدلالة على أحكامها، مثل قول الله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "اختلفوا في هذه "الباء" هل هي للإلصاق، وهو الأظهر أو للتبعيض؟ وفيه نظر، على قولين"[2]، فلو كانت الباء للإلصاق، فيكون المعنى مسح الرأس كله، وإن كانت الباء للتبعيض، فيكون المعنى امسحوا ببعض رؤوسكم.

وقد بيَّن الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن النبي ﷺ لم ينكر على من أخَّر صلاة العصر؛ بسبب اجتهاد الصحابة في المبادرة لامتثال أمر النبيﷺ عندما قال: "في يوم بني قريظة حين جهز إليهم الجيش: **(لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة)**، فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق، فقال منهم قائلون: لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير، ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق، وأخر آخرون منهم العصر، فصلوها في بني قريظة بعد الغروب، ولم يعنف رسول الله ﷺ أحدا من الفريقين"[3]، وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله، أمثلة على منكرات معلومة ليس فيها اجتهاد فقال: "أكل الربا، والإفطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة،

---

(١) سورة المائدة: جزء من الآية رقم(٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٤٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢ / ٣٩٩)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، برقم(٩٤٦)، (٢/ ١٩).

وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها، بلا عذر، وضرب المسلم بلا حق، والكذب على النبي ﷺ عمدا، وسب أصحابه، وكتمان الشهادة بلا عذر، وأخذ الرشوة، والقيادة بين الرجال، والنساء، والسعاية عند السلطان، ومنع الزكاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله ويقال: الوقيعة في أهل العلم وحملة القرآن، والظهار، وأكل لحم الخنزير، والميتة إلا عن ضرورة"[1].

والذي أراه والله أعلم: أنه لا إنكار في المسائل الفرعية، التي هي موضع نظر واجتهاد من العلماء الموثوق بهم، أما المسائل الأصولية، والاعتقادية، وكذلك بقية الأحكام الشرعية المتفق عليها، فإنها لا تدخل في الاجتهاد، وإعمال النظر، ومن ثم إذا اخترمها أحد فإنه ينكر عليه.

في نهاية المبحث أقول: إن الحافظ ابن كثير رحمه الله قد بين شروط إنكار المنكر، وهي أن يكون منكراً واضحا ويكون موجوداً في الحال، وكذلك ظهور هذا المنكر للمحتسب، فلا يكون البحث عنه عن طريق التجسس على الناس، لأن كل من ستر على نفسه معصيته في بيته وأغلق بابه، فإنه لا يجوز أن يتجسس عليه، وكذلك كون المنكر معلوماً بغير اجتهاد، فإذا تحققت هذه الشروط فإنه يتم الاحتساب.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٢٨٥).

الفصل الرابع:

مراتب ودرجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مراتب الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: درجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله.

تقديم:

يجدر بي قبل التحدث عن مراتب ودرجات الاحتساب، أن أعرف (الاحتساب بذاته): وهو ما يعبر عنه بكيفية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

للاحتساب مراتب ودرجات، ينبغي على المحتسب الإلمام بها، والتعرف عليها، حتى تكون حسبته متوافقة مع ما تقضي به الشريعة، وهذه المراتب والدرجات نص عليها العلماء المتقدمون والمتأخرون، وقد جعلتها في مبحثين هما:

المبحث الأول: مراتب الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله:

ذكر ابن كثير رحمه الله مراتب الاحتساب عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، فقال رحمه الله: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**"[3].

فبذلك يتبيَّن لنا أن مراتب الاحتساب هي: الاحتساب باليد، وباللسان، وبالقلب.

---

(١) حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد العمار، ص١٦٠.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢ / ٩١)، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان، برقم(١٨٦)، (١/ ٥٠).

من مراتب الاحتساب: التغيير باليد:

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله قصة إبراهيم عليه السلام، مع أبيه وإنكاره له ولقومه باليد؛ لعبادتهم الأصنام، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[1]، (وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾" أي: حطاما كسرها كلها"[2].

وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "قال الفراء: معناه مال عليهم ضرباً باليمين، وقال قتادة: فأقبل عليهم ضربا باليمين، وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد، وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذاً"[4].

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[5]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾أي: معبودك، ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾أي: أقمت على عبادته، يعني: العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه والسدي: سحله بالمبارد وألقاه على النار، وقال قتادة: استحال العجل من الذهب لحما ودما، فحرقه بالنار ثم ألقاه، أي: رماده في البحر؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾"[6].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[7]، قال الحافظ ابن

---

(١) سورة الأنبياء، آية:٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣٤٩)

(٣) سورة الصافات، آية:٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٢٦).

(٥) سورة طه، آية:٩٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣١٤).

(٧) سورة الإسراء، آية:٨١.

كثير رحمه الله: "أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم بسِيَة قوسه، ويقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾"[1].

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله، احتساب بعض الصحابة باليد، حيث قال: "كما كان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، -وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة- فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها، ويتخذانها حطبا للأرامل، ليعتبر قومهما بذلك ويرتئوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح -وكان سيداً في قومه- كان له صنم يعبده ويطيبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا، ويقول له: انتصر ثم يعودان لمثل ذلك ويعود إلى صنيعه أيضا، حتى أخذاه مرة فقرنا معه جرو كلب ميت، ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل"[2]، وكذلك إذا وجد المسلم في بيته منكرا، كتمثال أو غيره، فعليه أن يزيله بيده، فمسألة التغيير باليد مشروطة، بعدم ترتب مفسدة أكبر من جراء التغيير باليد، فإذا رأى المحتسب أنه لا يتمكن من تغييره بيده، إما لعدم قدرته على ذلك، أو خشية ترتب مفسدة أكبر، من المصلحة المرجوة انتقل بعد ذلك إلى:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٥٢٧)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٥٢٩).

المرتبة الثانية: وهي الإنكار باللسان:

من مراتب تغيير المنكر التغيير باللسان، وذلك بتعريف الناس بالحكم الشرعي بأن هذا محرم ومنهي عنه، فقد يرتكب المنكر لجهله به، وإنما ينتقل إلى هذه المرتبة إذا عجز عن التي قبلها، أو لم يكن من سلطته الإنكار باليد، وهذه المرتبة أيسر من التي قبلها، وقد دل عليها ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسيره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم.

وهذه المرتبة من مراتب تغيير المنكر، استخدمها الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "والمقصود أن إبراهيم عليه السلام وعظ أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينته، كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: أتتألَّه لصنم تعبده من دون الله، ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ أي: السالكين مسلكك ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: تائهين لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل، وأمركم في الجهالة، والضلال بين واضح لكل ذي عقل صحيح"[2]، فهذا احتساب واضح باللسان من إبراهيم عليه السلام على أبيه .

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "كان أول ما عبدت الأصنام، أن قوماً صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجد وصوَّروا صور أولئك فيها؛ ليتذكروا حالهم وعبادتهم، فيتشبَّهوا بهم، فلما طال الزمان، جعلوا تلك

(١) سورة الأنعام، آية:٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٢٨٩).

(٣) سورة الأعراف، آية:٥٩.

الصور أجساداً على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين "وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا"، فلما تفاقم الأمر بعث الله، سبحانه وتعالى -وله الحمد والمنة -رسوله نوحاً يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من عذاب يوم القيامة إن لقيتم الله، وأنتم مشركون به"[1].

فيفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أن نوحاً عليه السلام، عندما رأى قومه يشركون بالله، أمرهم بالتوحيد محتسباً عليهم بلسانه.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي، بقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: توعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم، ....وقوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة...فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك، ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من الأمم الخالية والقرون الماضية، ما حل بهم من العذاب، والنكال باجترائهم على معاصي الله، وتكذيب رسله"[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٤٣١ - ٤٣٢).

(٢) سورة الأعراف، آية:٨٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٤٤٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ولقد أرسلنا، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ آمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ناهياً لهم عن عبادة الأوثان، التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة"[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ولقد أرسلنا﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له الخالق الرازق"[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5]، قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن عبده، ورسوله شعيب عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله، ونقمته، وسطوته يوم القيامة...، ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها، والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال، والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله"[6].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۖ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) سورة الأعراف، آية:٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٢٩).

(٣) سورة الأعراف، آية:٧٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٣١).

(٥) سورة العنكبوت، آية:٣٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٧٧).

﴿مُّحِيطٍ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين... ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ أي: في معيشتكم ورزقكم، فأخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: في الدار الآخرة"[2].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم عليه السلام، بسبب عصيانهم لله جل جلاله واعتدائهم على خلقه...، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: كان لا ينهي أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك؛ ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾"[4].

فالمحتسب له أن يغير المنكر بلسانه، اقتداء بالأنبياء والرسل عليهم السلام؛ حتى لا يحل العقاب عليه من الله؛ بسبب تركه للإنكار، كما حلَّ على بني إسرائيل، عندما جالسوا أصحاب المنكر ولم ينكروا عليهم، فإنه إن لم يتمكن من الإنكار بلسانه، فإنه ينتقل

---

(١) سورة هود، آية: ٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٤٢).

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٨-٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ١٦٠).

للمرتبة التي تليها وهي:

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب:

الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم بكل حال، فمن لم ينكر بقلبه، فإن هذا دليل على ضعف الإيمان في ذلك القلب، ومن شهد المنكر، فكرهه بقلبه كان كمن لم يشهده إذا عجز عن إنكاره بيده أو بلسانه، ومن غاب عنه ولكنه رضيه كان كمن شهده، وقدر على إنكاره ولم ينكره؛ لأن الرضا بالمنكر من أقبح المحرمات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: بالتكذيب، والاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ أي: حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والمراد بهذا كل فرد، فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله، ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد التذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال السدي، في قوله: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال: إن نسيت فذكرت، فلا تجلس معهم"[2].

فيفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أن الخوض في آيات الله إذا لم تقدر على إنكاره بلسانك، فيلزمك أن تنكره بقلبك، وذلك بالإعراض عنه وبغضه، وعدم الجلوس في المكان نفسه ، وقد أكد هذا المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) سورة الأنعام، آية:٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٢٧٨).

يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1]، "أي: إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويُستهزأ ويُنتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي: في المأثم"[2].

ويفهم من كلام ابن كثير رحمه الله، أنه لا بد من الإنكار، ولو على أقل المراتب، وهي التي بالقلب، فلا يعذر أحد بعدم إنكاره بقلبه، ويلزم لإنكار المنكر بالقلب عدم مخالطة صاحب المنكر، وعدم الجلوس معه حال مواقعة المنكر خصوصاً، ولا يجوز الجلوس في مكان فيه منكر، بل يجب بغضه ومفارقته، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، حيث قال: "المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: **(من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**"[4].

فالاحتساب القلبي يجب أن يكون كاملاً، ودائماً لكل منكر، وفائدته بقاء القلب في تحسس دائم ضد المنكر، وبقاء عزمه، وإرادته على التغيير عند الإمكان.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٤٣٥).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢ / ٩١)، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، من حديث أبي موسى الأشعري، برقم(١٨٦)، (١/ ٥٠).

المبحث الثاني: درجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله:

للاحتساب درجات ينبغي على المحتسب معرفتها؛ حتى تكون حسبته متوافقة مع ما تقضي به الشريعة، وهذه الدرجات نصَّ عليها العلماء المتقدمون والمتأخرون، وما زالوا يوصون بها المحتسبين وهي:

الدرجة الأولى: التعريف:

هو بيان الحكم الشرعي للأمر المراد الأمر به، أو النهي عنه، فإن كان معروفاً متروكاً بيَّن المحتسب فضله، وعظم أجره وحث على فعله، وشحذ همة تاركه؛ ليسارع إلى فعله، وإن كان منكراً مرتكباً بين حكمه بلطف ولين، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1]، "يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ، أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾...وقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فأمره تعالى بلين الجانب، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه"[4].

---

(١) سورة النحل، آية:١٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٦١٣).

(٣) سورة العنكبوت، آية:٤٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦ / ٢٨٣)، ومعنى أنجع: أنفع وأظهر لأثره، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، (٢ / ٩٠٣).

وكذلك اقتداء بفعل الرسول ﷺ، ومنهجه في الإنكار، وتعليم الجاهلين، ومنها :

تعليمه ﷺ لمعاوية بن أبي الحكم السّلمي رضي الله عنه، عندما تكلم في الصلاة، وقد أكَّد ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1]، حيث قال: " أي: خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة، لمنافاته إياها؛ ولهذا لما امتنع النبي ﷺ من الرد على ابن مسعود رضي الله عنه حين سلم عليه، وهو في الصلاة، اعتذر إليه بذلك، وقال: (**إن في الصلاة لشغلا**)[2]، وفي صحيح مسلم: أنه عليه السلام قال لمعاوية بن الحكم السلمي؛ حين تكلم في الصلاة: (**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح، والتكبير، وذكر الله**)"[3].

وكذلك إنكار الرسول ﷺ على المسيء في صلاته، وتعريفه لصفة الصلاة الصحيحة، كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وبما ثبت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته أن رسول الله ﷺ قال له: (**إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**)"[4].

والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي عليه أن يُعنى بتعريف وتعليم صاحب المنكر، شفقة عليه، ورحمة به، وأن يعامله معاملة الوالد لولده، وهكذا كان

---

(١) سورة البقرة، آية:٢٣٨.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب المصلي يسلم عليه كيف يرد، برقم(١٠١٩)، (١/ ٣٢٥)، وقد ذيل الحديث بأحكام الشيخ الألباني قال: صحيح.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٦٥٤)، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم (١٢٢٧)، (٢/ ٧٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٠٨)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، برقم(٧٩٣)، (١/ ٢٠١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، برقم(٩١١)، (٢/ ١٠).

نبينا محمد ﷺ، عندما رأى أحد الناس يستقبل القبلة لقضاء حاجته، أنكر عليه بلطف وعلمه، وقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه)**"[1].

الدرجة الثانية: النهي بالوعظ، والنصح، والتخويف من الله تعالى:

يكون ذلك لمن أقدم على أمر، وهو عالم بكونه منكراً، أو لمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً، على أن يكون ذلك برفق ولين، وشفقة من غير غضب، ولا اعتزاز بنفس، ولا احتقار للمحتسب عليه؛ لأن ذلك أدعى إلى استماع العظة، وقبول النصح.

فالمحتسب لو رأى شخصاً عاقاً لوالديه، فعليه أن ينصحه، ويذكره بحرمة العقوق، وما ينتج عنه من غضب الله، وما يترتب على ذلك من خطورة في الدنيا والآخرة، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2]، حيث قال: "قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تسمعهما قولا سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦ / ٣٨١)، والحديث رواه أبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، برقم (٨)، (١/ ٤٩)، وذيل الحديث بأحكام الشيخ الألباني قال: حسن.

(٢) سورة الإسراء، آية:٢٣.

تنفض يدك على والديك، ولما نهاه عن القول القبيح، والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن، والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليناً طيباً حسناً بتأدب، وتوقير، وتعظيم"[1].

وكذلك لو رأى أحد طُلِب منه شهادة، وكتمها، فينصحه، ويخوفه بالله من عقوبة كتمانها، كما أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2]، "قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أي: لا تخفوها، وتغلوها، ولا تظهروها، قال ابن عباس رضي الله عنه: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانها كذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ قال السدي: يعني: فاجر قلبه"[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا، وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه، ودواعيه، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ أي: ذنباً عظيماً ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً، ومسلكاً"[5]. فهذا فيه تخويف من الله سبحانه وتعالى.

وكذلك على المحتسب أن يذكره بالموت، ومفارقة هذه الدنيا، وأنه ليس له وقت معين بل يأتي بغتة، وربما جاء الإنسان، وهو واقع في المعصية فتكون خاتمته سيئة – والعياذ بالله –، ويبين له أن هدفه من نصحه وإرشاده حبه له، وخوفه عليه من عذاب

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٦٤).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧٢٨).

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٧٢).

يوم القيامة، وأنه ما فعل ذلك إلا إشفاقاً عليه؛ حتى يطمئن له، وتنفتح نفسه لسماع الموعظة، وربما أعقب ذلك الإقلاع، والابتعاد عما هو واقع به.

الدرجة الثالثة: الغلظة في القول:

يلجأ المحتسب إلى هذه الدرجة، بعد استخدامه الأسلوب السهل اللين القريب، وبعد معرفته أن أسلوب اللين لم يجدِ، عند ذلك يغلظ له القول، ويشدد عليه، ويزجره؛ مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك، فإذا أمن شره فإنه يقوم بذلك، ولكن لا يقول إلا حقاً، ولذلك أمثلة منها:

ما استخدمه إبراهيم عليه السلام مع قومه حينما قدّم لهم دعوته برفق ولين، ولم يقبلوا، سلك معهم الغلظة في القول، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر، ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال، والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها"[2]، فهذا إبراهيم الأواه الحليم المنيب عليه السلام، يذكر ذلك لقومه حينما بلغ معهم هذه المرحلة، سلك هذه الدرجة.

وقال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام، وهو ينكر على قومه بعد أن وعظهم فأغلظ عليهم: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[3]،قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " أي: لا تعقلون

---

(١) سورة الأنبياء، آية:٦٦-٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣٥٠-٣٥١).

(٣) سورة هود، آية:٢٩.

ولا تفهمون"[1].

فهذا الموقف يتضح في حال نوح عليه السلام مع قومه، حينما لم يقبلوا كلامه، وعاندوه واستكبروا عليه، فكذلك المحتسب يقول للمحتسب عليه، اتق الله! أما تخاف من الله؟! أما تستحيي؟! ألا تعرف أن فعلك هذا فعل الفساق والفجار ؟! وهكذا، فلعله ينزجر.

وخاطب لوط عليه السلام قومه، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ أي: اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار على نسائكم، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي: ليس منكم رجل فيه خير، يقبل ما آمره به، ويترك ما أنهاه عنه؟"[3].

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: هالكاً، قاله مجاهد وقتادة، وقال ابن عباس: ملعوناً، وقال: أيضا هو والضحاك: (مثبوراً) أي: مغلوباً، والهالك -كما قال مجاهد -يشمل هذا كله"[5].

فكذلك المحتسب لا يقدم على هذه الدرجة إلا إذا رأى المحتسب عليه معاند، وغير مستجيب، وأن التلطف معه لا ينفع.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧ / ٢٨٦).

(٢) سورة هود، آية:٧٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٣٧).

(٤) سورة الإسراء، آية:١٠٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ١٢٦).

الدرجة الرابعة: التهديد، والتخويف:

هذه الدرجة هي آخر المحاولات؛ لنهي صاحب المنكر باللسان، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل، فيسلك المحتسب هذه الدرجة إذا لم يفد مع المحتسب عليه الغلظة في القول، فيهدّد المحتسب المحتسب عليه، ويخوفه، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فيه تهديد، ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود، والنصارى، بعد ما علموا من القرآن، والسنة، عياذاً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأمته"[2].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فيه تهديد ووعيد شديد، أي: أن علمه محيط بعملكم، وسيجزيكم عليه"[4].

فإذا كان المحتسب عليه مثلاً يتعامل بالربا، يخوف بالله، ويهدد بأن فعله هذا إعلان وقبول لمحاربة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[5]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٤٠٣).

(٣) سورة البقرة، آية: ٧٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٤٥٢).

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٨.

الربا بعد الإنذار، قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: استيقنوا بحرب من الله ورسوله"[1]، فمن يتعامل بذلك، فيهدد ويخوف بالله عزَّ وجل، ويقال له : لئن لم تنته لأخبرن السلطات، فتحاسبك على فعل هذا المنكر، أو سأشهِّر بك عند أقاربك، ومجتمعك، وهكذا يورد المحتسب على المحتسب عليه بعض أساليب التخويف، والتهديد، ولكن ينبغي أن يكون التهديد، والتخويف، في حدود المعقول، والمقدور عقلاً وشرعاً، حتى يعلم المحتسب عليه صدق المحتسب في تهديده، وقدرته على فعله؛ لأن المحتسب لو هدد فاعل المنكر بأمور غير جائزة علم عدم جدية المحتسب.

الدرجة الخامسة: إنزال العقوبة، أوالإشهار بالسيف:

إذا تكتل العصاة، وتعاونوا على إظهار فسقهم، وفجورهم، أو اعتصموا في مكان، وهددوا كل من جاءهم، أو أرادوا الفساد في الأرض، أو هموا بصرف المحتسب عن طريقهم، فله في هذه الحالة الاستعانة بالأعوان من الجهات الأمنية، وشهر السلاح لتفريق جمعهم، وقطع فسادهم، فقد أكد ذلك المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، حيث قال: "المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق، وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر، وليست تحرز هذه الآية الرجل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٧١٦).

(٢) سورة المائدة، آية:٣٣.

المسلم من الحد، إن قتل، أو أفسد في الأرض، أو حارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصاب"[1]، أما قوله: "﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال: من شهر السلاح في قبة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظفر به وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله"[2].

وكذلك السارق إذا قدر عليه، فإنه يرفع لولي الأمر؛ لإقامة الحد عليه بقطع يده جزاء له، وردعاً لأمثاله، فقد أكَّد الحافظ ابن كثير رحمه الله ذلك المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3]، حيث قال: "يقول تعالى حاكماً وآمراً بقطع يد السارق والسارقة، وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قطعت يده به، سواء أكان قليلاً أو كثيراً؛ لعموم هذه الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ فلم يعتبروا نِصاباً، ولا حرزاً؛ بل أخذوا بمجرد السرقة"[4].

وكذلك إنزال العقوبة على من يقذف المحصنات ويتهمهن بأعراضهن من دون بينة، فقد أكَّد الحافظ ابن كثير رحمه الله ذلك المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[5]، حيث قال: "هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٩٤).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٩٩-١٠٠).

(٣) سورة المائدة، آية:٣٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ١٠٧).

(٥) سورة النور، آية:٤.

للمحصنة، وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلاً، فكذلك يجلد قاذفه أيضاً، ليس في هذا نزاع بين العلماء، فأما إن أقام القاذف بيِّنة على صحة ما قاله، رُدَّ عنه الحد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فأوجب على القاذف إذا لم يقم بينة على صحة ما قاله ثلاثة أحكام:

أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة.

الثاني: أنه تُردّ شهادته دائماً.

الثالث: أن يكون فاسقاً ليس بعدل، لا عند الله، ولا عند الناس"[1].

وكذلك إنزال العقوبة على من كفر بالله بعد إيمانه، فقد أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله ذلك المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، حيث قال: (أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصُّر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردَّة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبِّتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئاً ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئاً، فهم غافلون عما يراد بهم، وقال الإمام أحمد: إن عليًّا رضي الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنه فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: **(لا تعذبوا بعذاب الله)**،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ١٣-١٤).

(٢) سورة النحل، آية:١٠٦.

وكنت قاتلهم بقول رسول الله ﷺ: (**من بدل دينه فاقتلوه**)[1])[2].

في هذا الفصل بمبحثيه مراتب ودرجات الاحتساب، والتي جمعتها من تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، فقد بيَّن أن مراتب الاحتساب ثلاثة، وهي: التغيير باليد، والإنكار باللسان، والإنكار بالقلب، وذلك بتوضيح مسائل الحسبة لكل مرتبة، ثم بعد ذلك بيَّن درجات الاحتساب، وهي: التعريف، وذلك بتبيين الحكم الشرعي للأمر المراد الأمر به، أو النهي عنه، وكذلك النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله، وبيَّن أن ذلك يكون لمن أقدم على أمرٍ وهو يعرف بكونه منكراً، فإن عاند وكابر، ولم ينفع معه استخدام الدرجات السابقة، فإنه يغلظ عليه في القول، ويشدد عليه، اقتداء بالرسل عليهم السلام مع أقوامهم، فإن استجاب وإلا فإنه يُهدَّد ويُخوف، وهذه الدرجة هي آخر المحاولات لنهي صاحب المنكر باللسان، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل، فيسلك معه هذه الدرجة إن استجاب له، وإلا انتقل لما بعدها من إنزال العقوبة، وذلك إذا اجتمع العصاة وتعاونوا على إظهار فسقهم وفجورهم، أو أرادوا الفساد في الأرض.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧)، (٤/ ٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٦٠٥)

الخاتمــة:

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد وله الشكر، فقد حرصت جاهداً في هذا البحث، أن أفيد مما سطره الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسيره (تفسير القرآن العظيم) في مجال الحسبة، وأن أعرضه بأسلوب جيد، لعل الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا.

وقد خرجت من هذا البحث بنتائج عدة منها:

١- أصناف المحتسب عند ابن كثير رحمه الله هي: محتسب رسمي ومحتسب متطوع.

٢- لابد أن تتوافر شروط للمحتسب بينها ابن كثير رحمه الله وهي: الإسلام، والتكليف، والاستطاعة.

٣- لابد أن تتوافر للمحتسب صفات بينها ابن كثير رحمه الله وهي:الإخلاص، والتقوى، والعلم، والصبر، والصدق، والرفق، والحلم والأناة.

٤- أصناف المحتسب عليهم عند ابن كثير رحمه الله هم: عامة الناس، والعلماء، والولاة.

٥- حقوق المحتسب عليه بينها ابن كثير رحمه الله وهي: الذهاب إلى المحتسب عليه حيثما كان، وأن يقصد المحتسب عليه بالاحتساب، والحرص عليه رجاء هدايته واستقامته على الحق، واللين والعفو والإحسان إليه، وعدم التشهير به.

٦- لإنكار المنكر عند ابن كثير رحمه الله مجالات وهي: مجال العقيدة، ومجال العبادة، ومجال المعاملات، ومجال الأخلاق والآداب العامة.

٧- لإنكار المنكر عند ابن كثير رحمه الله شروط هي: كونه منكرا، وأن يكون المنكر موجود في الحال، وأن يكون ظاهراً بغير تجسس، وكون المنكر معلوماً بغير اجتهاد.

٨- لإنكار المنكر عند ابن كثير رحمه الله مراتب هي: التغيير باليد، والإنكار باللسان، والإنكار بالقلب.

٩- لإنكار المنكر عند ابن كثير رحمه الله درجات هي: التعريف، والنهي بالوعظ، والنصح والتخويف من الله، والغلظة في القول، والتهديد والتخويف، وإنزال العقوبة أو

الإشهار بالسيف.

وأما التوصيات:

١- أوصي المحتسبين عموماً، والطلاب خصوصاً، أن يستفيدوا من تفسير ابن كثير رحمه الله في الاحتساب، وذلك بقراءته، ومدارسته في مجالسهم، وتعلم ما احتوى عليه من فوائد عظيمة، وأدعوهم لاختيار أفكارهم البحثية، في جمع ودراسة مسائل الحسبة في كتب التفسير، ومنها تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله، وغيره من كتب التفسير.

٢- أوصي المحتسبين جماعات وأفراداً، مؤسسات أو حكومات، أن يتأسوا بمنهج الحافظ ابن كثير رحمه الله القائم على الكتاب والسنة، وماكان عليه سلف هذه الأمة، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأوصيهم بدعم الكراسي البحثية الحسبية، التي تخدم هذا المجال من البحوث.

٣- أوصي بالكتابة في مسائل الحسبة في تفسير أضواء البيان، وتفسير محاسن التأويل.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يوفقنا إلى هداه، وإلى العمل الذي يقربنا إليه، وأن يجعلنا ممن يقتفون هدي سلفنا الصالح،وأن يتقبل هذا البحث بقبولٍ حسن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس :

وتشتمل على:

١ – فهرس الآيات القرآنية.

٢ – فهرس الأحاديث النبوية.

٣ – فهرس الأعلام.

٤ – فهرس المصادر والمراجع.

٥ – فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١	﴿ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾	٧	الفاتحة	٤٨
٢	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِٱلغَيبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ..... ﴾	٣	البقرة	٨٥
٣	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ .....﴾	٤٣	البقرة	٨٥
٤	﴿ أَتَأمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم ..... ﴾	٤٤	البقرة	٤٣
٥	﴿ ثُمَّ قَسَت قُلُوبُكُم مِّن بَعدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلحِجَارَةِ ..... ﴾	٧٤	البقرة	١٢٤
٦	﴿ وَلَن تَرضَىٰ عَنكَ ٱليَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ .....﴾	١٢٠	البقرة	١٢٤
٧	﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعتَ أَهوَآءَهُم مِّنۢ بَعدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلعِلمِ ..... ﴾	١٤٥	البقرة	٦٥
٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱستَعِينُواْ بِٱلصَّبرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ..... ﴾	١٥٣	البقرة	٤٩
٩	﴿ وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٖ مِّنَ ٱلخَوفِ وَٱلجُوعِ ..... ﴾	١٥٥	البقرة	٥٠
١٠	﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلبَأسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلبَأسِۗ .....﴾	١٧٧	البقرة	٥٠
١١	﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهرَ فَليَصُمهُ ﴾	١٨٥	البقرة	٨٨
١٢	﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلحَجَّ وَٱلعُمرَةَ لِلَّهِ﴾	١٩٦	البقرة	٨٩
١٣	﴿ ٱلحَجُّ أَشهُرٞ مَّعلُومَٰتٞۚ .....﴾	١٩٧	البقرة	٨٩
١٤	﴿ يَمحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُربِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ .....﴾	٢٧٦	البقرة	٩١
١٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ....﴾	٢٧٨	البقرة	١٢٤
١٦	﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيسَرَةٖۚ ..... ﴾	٢٨٠	البقرة	٩١
١٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكتُبُوهُ﴾	٢٨٢	البقرة	٩١
١٨	﴿ وَلَا تَكتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكتُمهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلبُهُۥ﴾	٢٨٢	البقرة	١٢١

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٩	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾	٢٨٢	البقرة	٤٦
٢٠	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾	٢٨٦	البقرة	٤٠
٢١	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾	٩٧	آل عمران	٨٨، ٩٠
٢٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ..... ﴾	١٠٢	آل عمران	٦١
٢٣	﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ ..... ﴾	١٠٤	آل عمران	٣٢، ١٠٩، ١١٧
٢٤	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ..... ﴾	١٠٥	آل عمران	٣٤
٢٥	﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ .....﴾	١١٠	آل عمران	٣١
٢٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ﴾	١١٨	آل عمران	٦٧
٢٧	﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ .....﴾	١٥٩	آل عمران	٧٣
٢٨	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ..... ﴾	١٨٧	آل عمران	٦٥
٢٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ .....﴾	٢٠٠	آل عمران	٥١
٣٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ .....﴾	٢٩	النساء	٩٢
٣١	﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ .....﴾	٣٧	النساء	٩٩
٣٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	النساء	٣٩، ١٠٣
٣٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾	٥٩	النساء	٦٧
٣٤	﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	١٠٢	النساء	٨٥
٣٥	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ .....﴾	١١٦	النساء	٨٣

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٣٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ .....﴾	١٣٦	النساء	٦١
٣٧	﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ .....﴾	١٤٠	النساء	١١٧
٣٨	﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	١٤١	النساء	٣٨
٣٩	﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ .....﴾	١٥٧، ١٥٨	النساء	٨١
٤٠	﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾	٦	المائدة	١٠٦
٤١	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ .....﴾	٣٣	المائدة	١٢٥
٤٢	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ..... ﴾	٣٨	المائدة	١٢٦
٤٣	﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ .....وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٧٢، ٧٣	المائدة	٨٣
٤٤	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ..... لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	٧٨، ٧٩	المائدة	٣٢، ١١٥
٤٥	﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ..... ﴾	١٠٠	المائدة	٩٢
٤٦	﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ..... ﴾	٦٨	الأنعام	٦٣، ١١٦
٤٧	﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ..... ﴾	٧٤	الأنعام	١١٢
٤٨	﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	٨٨	الأنعام	٧٩
٤٩	﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢	الأنعام	٨٢
٥٠	﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم	٥٩	الأعراف	١١٢

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
	مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ .....﴾			
٥١	﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا .....﴾	٦٥	الأعراف	١١٤
٥٢	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا .....﴾	٧٣	الأعراف	١١٤
٥٣	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ .....﴾	٨٦	الأعراف	١١٣
٥٤	﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ .....﴾	٨٠، ٨١	الأعراف	٧١
٥٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ..... ﴾	٢٠١	الأعراف	٦٢
٥٦	﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٢٢	الأنفال	٨٠
٥٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ .....﴾	٣٤	التوبة	٦٤
٥٨	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ..... ﴾	١٠٣	التوبة	٨٧
٥٩	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ .....﴾	١١٣	التوبة	٧٣
٦٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	التوبة	٥٢
٦١	﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ .....﴾	١٢٨	التوبة	٧٢
٦٢	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ .....﴾	١١٦	هود	٣٤
٦٣	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	هود	١٠٣
٦٤	﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾	٢٩	هود	١٢٢
٦٥	﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾	٧٥	هود	٥٥
٦٦	﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ .....﴾	٧٨	هود	١٢٣

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٦٧	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا .....﴾	٨٤	هود	١١٥
٦٨	﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ .....﴾	٨٧	يوسف	١٠٥
٦٩	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾	١٦	الرعد	٧٩
٧٠	﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم .....فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٣، ٢٤	الرعد	٥٠
٧١	﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ..... ﴾	٣٧	الرعد	٦٥
٧٢	﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١	إبراهيم	٨٥
٧٣	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	٢٦	الحجر	٢٤
٧٤	﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ .....﴾	١٠٦	النحل	١٢٧
٧٥	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ ..... ﴾	١٢٥	النحل	٦٦، ١١٨
٧٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	النحل	٤٧
٧٧	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ..... ﴾	٢٣	الإسراء	١٢٠
٧٨	﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	الإسراء	٩٩، ١٢١
٧٩	﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾	٣٩	الإسراء	٩٥
٨٠	﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	الإسراء	١١٠
٨١	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .....﴾	١٠٢	الإسراء	١٢٣
٨٢	﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ..... ﴾	٧١	الكهف	١٠٣
٨٣	﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ .....﴾	٧٤	الكهف	١٠٤
٨٤	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ .....﴾	١١٠	الكهف	٤٤، ٧٩
٨٥	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٥٩	مريم	٨٥، ٨٦
٨٦	﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ .....لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٣، ٤٤	طه	٥٤، ٦٨، ٧٠، ٧٣

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٨٧	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾	٨٢	طه	٦٢
٨٨	﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا .....﴾	٩٧	طه	١١٠
٨٩	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٥٨	الأنبياء	١١٠
٩٠	﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا .....﴾	٦٦، ٦٧	الأنبياء	١٢٢
٩١	﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ..... ﴾	٢	النور	٦٧
٩٢	﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ..... ﴾	٤	النور	١٢٦
٩٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ..... ﴾	١٩	النور	٧٤
٩٤	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا .....﴾	٢١	النور	٩٦
٩٥	﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	النور	٩٥
٩٦	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾	٢٣	الفرقان	٧٩
٩٧	﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٩	الشعراء	٤٥
٩٨	وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٤٥	الشعراء	٤٥
٩٩	﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٤	الشعراء	٤٥
١٠٠	﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	الشعراء	٦٩
١٠١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥١	القصص	٧٢
١٠٢	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	٥٦	القصص	٧١
١٠٣	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا .....﴾	٣٦	العنكبوت	١١٤

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٠٤	﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ .....﴾	٤٦	العنكبوت	١١٨
١٠٥	﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ .....﴾	٣٠	الروم	٩٦
١٠٦	﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ..... ﴾	١٧	لقمان	٣٥، ٥٠
١٠٧	﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ .....﴾	١٨	لقمان	٣٥
١٠٨	﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا .....﴾	٢٤	السجدة	٦٤
١٠٩	﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ..... ﴾	٢١	الأحزاب	٤٣
١١٠	﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ..... ﴾	٣٥	الأحزاب	٥٣
١١١	﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ .....﴾	١٤	فاطر	٨٢
١١٢	﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	فاطر	٤٧
١١٣	﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ..... ﴾	٣٢	فاطر	٦٠
١١٤	﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾	٩٣	الصافات	١١٠
١١٥	﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾	٢٧	ص	٧٨
١١٦	﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٩	الزمر	٤٧
١١٧	﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	١٠	الزمر	٥٠
١١٨	﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ..... ﴾	٥٦	الزمر	٧٩
١١٩	﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ .....﴾	٦٧	الزمر	١٠٢
١٢٠	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ .....﴾	٥١	غافر	٣٨
١٢١	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	الذاريات	٧٨
١٢٢	﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٥٣	فصلت	٩٧
١٢٣	﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..... ﴾	٥	الأحقاف	٨٣
١٢٤	﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾	٣٥	الأحقاف	٤٩

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٢٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..... ﴾	٦	الحجرات	٥٦
١٢٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ..... ﴾	١١	الحجرات	٩٨
١٢٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ .....﴾	١٢	الحجرات	١٠٤
١٢٨	﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴾	٤٧	القمر	٨٠
١٢٩	﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾	١٤، ١٥	الرحمن	٢٤
١٣٠	﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾	١١	المجادلة	٤٧
١٣١	﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾	١٦	التغابن	٤٠
١٣٢	﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾	٢	الطلاق	٤٦
١٣٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا .....﴾	٦	التحريم	٦٣
١٣٤	﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾	١٩	المعارج	٩٧
١٣٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾	٢،١	المدثر	٦٩
١٣٦	﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾	١٤	الأعلى	٩٨
١٣٧	﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾	٨	الشمس	٩٦
١٣٨	﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	٩	الشمس	٩٨
١٣٩	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾	٢	الكوثر	٨٢

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الصفحة
١	إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن	١١٩
٢	أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٧٣
٣	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه	٥٤
٤	إن العلماء ورثة الأنبياء	٦٣
٥	إن الله رفيق يحب الرفق	٥٤
٦	أن شابًّا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ائذن لي بالزنا	٩٩
٧	إن في الصلاة لشغلا	١١٩
٨	إن فيك خصلتين يحبهما الله	٥٦
٩	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس....	١١٩
١٠	إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم	١٢٠
١١	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	١٠٥
١٢	أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا	٨٩
١٣	تعافوا الحدود فيما بينكم	٦٧
١٤	خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام	٣٢
١٥	رفع القلم عن ثلاثة	٣٩
١٦	طلب العلم فريضة على كل مسلم	٤٨
١٧	عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر	٥٢
١٨	الكبر بطر الحق وغمص الناس	٩٨
١٩	كل مولود يولد على الفطرة	٩٦

م	الحديث	الصفحة
٢٠	كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية	٥١
٢١	لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا	١٠٥
٢٢	لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم	٧٤
٢٣	لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة	١٠٦
٢٤	اللهم اهدني لأحسن الأخلاق....	٩٧
٢٥	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه	٥٥
٢٦	ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا	٧٥
٢٧	ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان	٦٨
٢٨	مروا الصبي بالصلاة؛ إذا بلغ سبع سنين	٦٣
٢٩	من بدل دينه فاقتلوه	١٢٨
٣٠	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	٤١
٣١	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٣٣، ١٠٩، ١١٧
٣١	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	٤٨
٣٢	المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم	٥٠
٣٣	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم	٣٣
٣٤	يا آل عبد مناف إني نذير!	٧٠
٣٥	يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله	٧٣
٣٦	يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار	٦٩

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري	١٣
٢	أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي	١٣
٣	أبو المعالي بن الشيخ علاء الدين علي بن عبدالواحد بن خطيب زمكلا	١٧
٤	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني	١٠
٥	إسماعيل بن كثير الدمشقي	١٠
٦	الحافظ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز	١٦
٧	الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي	١٧
٨	حسن بن عمر بن الحسن بن حبيب أبو محمد بدر الدين الحلبي	٢٠
٩	سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل النووي	١٩
١٠	سعيد بن جبير الأسدي	٢٣
١١	شهاب الدين حجي بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد شهاب الدين	١٩
١٢	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي	٢٢
١٣	القاسم بن بهاء الدين محمد بن يوسف الحافظ علم الدين أبو محمد البرزالي	١٧
١٤	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم	٢٣
١٥	محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية	١٠
١٦	محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيس الدمشقي	٢٠
١٧	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	١٠
١٨	محمد بن بهادر بن عبدالله بدر الدين الزركشي الشافعي	٢٠

م	العلم	الصفحة
١٩	محمد بن جعفر بن فرعوش ويقال اللباد ويعرف بالمولّه	١٣
٢٠	محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني	١٤
٢١	محمد بن محمد بن محمد بن علي = ابن الجزري	١٩
٢٢	يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي	١٢
٢٣	يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبد الملك = المزي	١٧

فهرس المراجع والمصادر

١- **ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه**، للدكتور محمد الزحيلي، طبعة دار القلم، بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

٢- **ابن كثير ومنهجه في التفسير**، د. إسماعيل عبدالعال، طبعة مكتبة الملك فيصل الإسلامية، ط١، بالقاهرة١٩٨٤م.

٣- **إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل**، د.صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار المودة، مصر، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٤- **إحياء علوم الدين**، للإمام أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٥- **الاستقراء والمنهج العلمي**، د.محمود فهمي زيدان، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٧٧م.

٦- **أصول الدعوة**، د.عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٧- **الأصول العلمية والعملية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، د.عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤٣١هـ.

٨- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م

٩- **الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ**، د.مسعود عبدالرحمن الندوي، طبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٠- **إنباء الغمر بأنباء العمر**، لأحمدبن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبش، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

١١- **البداية والنهاية**، الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير، بتحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، طبعة دار هجر بالرياض،ط١، ١٤١٥هـ.

١٢- **تاريخ المماليك**، للدكتور عادل زيتون، المطبعة الجديدة بدمشق،١٤٠١هـ.

١٣- **تذكرة الحفاظ** للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، طبعة دار التراث العربي، بيروت، ١٩٥٨م.

١٤- **التعريفات**، علي محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، طبعة دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٥- **التفسير الصحيح**، حكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ.

١٦- **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٤٣٢هـ.

١٧- **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين**،وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، لأحمد بن إبراهيم الدمشقي المعروف بابن النحاس، تحقيق: عمادالدين عباس سعيد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، الناشر : دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٩- **خطط الشام**، محمد علي كرد ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ.

٢٠- **الدارس في تاريخ المدارس**، عبدالقادر محمد النعيمي، مطبعة الترقي، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧هـ.

٢١- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني،دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

٢٢- **الدعوة إلى الله -الرسالة (الوسيلة-الهدف)**،د. توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٣- **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي**، للحافظ ابن أبي المحاسن الدمشقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت،بدون تاريخ.

٢٤- **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة توفيق، مصر، ١٣٤٧هـ.

٢٥- **الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**، للحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، طبعة المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٢٦- **سنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجة، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٧- **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٨- **سنن الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مكتبة مصطفى الحلبي-القاهرة،١٣٩٨هـ.

٢٩- **سنن النسائي**، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٠- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبدالحي بن العماد الحنبلي، طبعة القدس، القاهرة ١٣٥٠هـ.

٣١- **شرح النووي على صحيح الإمام مسلم**، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢- **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

٣٣- **صحيح سنن أبي داود**-الألباني، الناشر مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٤- **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٥- **طبقات المفسرين**، للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٢هـ.

٣٦- **العبودية**، لشيخ الاسلام ابن تيمية، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٧- **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، لأحمد محمد شاكر، طبعة دار الوفاء، ط١،

١٤١٢هـ.

٣٨- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٩- **الفصول في سيرة الرسول**، للحافظ ابن كثير، تحقيق: محمدعيد الخطراوي، ومحي الدين مستو، دار ابن كثير، ط٤، دمشق-بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٠- **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.

٤١- **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٢- **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة**، د. ناصر العقل، ط١، دار الوطن، الرياض.

٤٣- **مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية**-جمع وترتيب :عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٤٤- **مدارج السالكين**، للإمام ابن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٥- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة،بدون.

٤٦- **مسند الفاروق لابن كثير**، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الوفاء، ط١، المنصورة،١٤١١هـ.

٤٧- **المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد**، لأحمد بن الجزري، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ.

٤٨- **المعجم الوسيط**، للدكتور إبراهيم أنيس وزملائه، طبعة المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول-تركيا، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٩- **معجم لغة الفقهاء**، د.محمد قلعجي وزميله، ط٢، دار النفائس، بيروت ١٤٠٨هـ.

٥٠- **معجم محدثي الذهبي المعجم المختص**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وعلق عليه روحية عبدالرحيم السويقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٥١- **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٢- **مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، أحمد مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٨م.

٥٣- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمدسيد كيلاني، ط الأخيرة، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٥٤- **مقدمة في أصول التفسير**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، نشر دار القرآن الكريم، بالكويت، ومؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ.

٥٥- **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٦- **منهج ابن كثير في التفسير**، سليمان بن إبراهيم اللاحم، طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٧- **منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتاب البداية والنهاية**، شمس الدين محمد صديق، رسالة دكتوراه غير منشورة.

٥٨- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري بردي، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩هـ.

٥٩- **نظام الحسبة في الإسلام**، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ.

٦٠- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري (المعروف بابن الأثير)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي،(دارالباز، مكة المكرمة).

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٢
أهداف البحث	٣
الدراسات السابقة	٣
منهج البحث	٥
خطة البحث	٥
تمهيد ويشتمل على:	
أولاً: التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله، ويشمل:	٩
عصره:	٩
نسبه، ومولده، ونشأته:	١١
طلبه للعلم:	١٣
شيوخه:	١٦
تلاميذه:	١٨
ثناء العلماء عليه:	١٩
وفاته:	٢١
ثانياً: التعريف بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله وبيان مكانته وأهميته:	٢٢
منهجه في التفسير، ويشمل:	٢٣
تفسير القرآن بالقرآن:	٢٤

المحتوى	الصفحة
تفسير القرآن بالسنة:	٢٤
تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:	٢٥
تفسير القرآن بلغة العرب:	٢٦
مصادر تفسير ابن كثير:	٢٧
الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالمحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله، وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: أصناف المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله	٣١
المبحث الثاني: شروط المحتسب وصفاته في تفسير ابن كثير رحمه الله، **وفيه مطلبان:**	٣٦
المطلب الأول: شروط المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله	٣٦
الشرط الأول: الإسلام:	٣٨
الشرط الثاني: التكليف:	٣٩
الشرط الثالث: الاستطاعة:	٤٠
المطلب الثاني: صفات المحتسب في تفسير ابن كثير رحمه الله:	٤٣
الإخلاص:	٤٤
التقوى:	٤٦
العلم:	٤٧
الصبر:	٤٨
الصدق:	٥٢
الرفق:	٥٣
الحلم والأناة:	٥٥
الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بالمحتسب عليه في تفسير ابن كثير رحمه الله، وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: أصناف المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله.	٥٩

المحتوى	الصفحة
الصنف الأول: الاحتساب على عامة الناس.	٦٠
الصنف الثاني: الاحتساب على العلماء.	٦٣
الصنف الثالث: الاحتساب على الولاة.	٦٦
المبحث الثاني: حقوق المحتسب عليهم في تفسير ابن كثير رحمه الله	٦٩
الذهاب إلى المحتسب عليه حيثما كان.	٦٩
أن يقصد المحتسب عليه بالاحتساب.	٧٠
الحرص على المحتسب عليه رجاء هدايته واستقامته على الحق	٧٢
اللين والعفو والإحسان للمحتسب عليه:	٧٣
عدم التشهير بالمحتسب عليه:	٧٤
الفصل الثالث: المسائل المتعلقة بالمحتسب فيه في تفسير ابن كثير رحمه الله، وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: مجالات إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله:	٧٨
مجال العقيدة.	٧٨
مجال العبادة.	٨٤
مجال المعاملات.	٩٠
مجال الأخلاق والآداب العامة:	٩٣
المبحث الثاني: شروط إنكار المنكر في تفسير ابن كثير رحمه الله:	١٠٢
كونه منكراً.	١٠٢
أن يكون المنكر موجوداً في الحال.	١٠٣
أن يكون ظاهراً بغير تجسس.	١٠٤
كون المنكر معلوماً بغير اجتهاد.	١٠٦

المحتوى	الصفحة
الفصل الرابع: مراتب ودرجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله، وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: مراتب الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله:	١٠٩
التغيير باليد.	١١٠
الاحتساب باللسان.	١١٢
الاحتساب بالقلب.	١١٦
المبحث الثاني: درجات الاحتساب في تفسير ابن كثير رحمه الله:	١١٨
التعريف.	١١٨
النهي بالوعظ، والنصح، والتخويف من الله تعالى.	١٢٠
الغلظة في القول.	١٢٢
التهديد، والتخويف.	١٢٤
إنزال العقوبة، أو الإشهار بالسيف.	١٢٥
الخاتمة، وفيها النتائج، والتوصيات.	١٣٠
الفهارس، وتشمل:	
فهرس الآيات القرآنية.	١٣٣
فهرس الأحاديث النبوية.	١٤١
فهرس الأعلام.	١٤٣
فهرس المراجع والمصادر.	١٤٥
فهرس الموضوعات.	١٥٠